مقتطفات من بستان العصر الذهبي للأدب العربي

اختيار وتحليل ونقد

د / محمد عبد المنعم العربي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة الأزهر

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ إنى أسألك فَهْمَ النَّبيِّنَ،

وحِفْظَ المُرْسلِينَ،

وإلْهَامَ مَلَائِكَتِكَ المُقَرَّبين،

اللهمَّ أكرِمْنِى بنورِ الفَهْمِ،

وأَخْرِجْنى مِنْ ظُلُمَاتِ الوَهْمِ،

وافتحْ لِى أبوابَ فَهْمِكَ،

وأَبْوَابَ رَحْمَتِكَ،

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين

مقـــــدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسـول اللـه وعلـى آله وصحبه ومن والاه ربنا آتنا من لدنك رحمـة وهيـئ لنـا مـن أمرنا رشدا ٠

أما بعد

فهذه مختارات من النصوص الشـعرية والنثريـة قطفتُهـا مـن بستان العصر الذهبى للأدب العربـى (العصـر العباسـى بقسـميه الأول والثانى) وهو بستان حـافل بـالأزاهير والـورود ، والثمـار اليانعات والمشاهد الرائعات الفاتنات ٠

وقد أخضعتُ هذه النصوصَ ـ بعد الترجمـة لأصحابهـا فـى إيجـاز ـ لدراسـات أدبيـة فنيـة نقديـة تعتمـد إلـى جـانب القواعـد والأصول على (التذوق الجمـالىّ) الـذى آمـل أن يتعـوده دارسُ الأدب حتـى يَجْنِـىَ الثمـرةَ المرجوّةَ والمتْعـةَ المنشـودةَ مـن هـذه الدراسة ، ويَمْرُنَ على إدراك أسرار الجمال والإبداع فى النصّ الأدبىّ .

واللهَ تعالى أسأل أن يتقبل هذا الجهدَ المتواضعَ وينفع به إنـه ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير ،،،

الدكتور

محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم

(العربى)

الزقازيق فى: ١٩ من جمادى الأولى ١٤١٨ هـ
٢١ من سبتمبر سنة ١٩٩٧ م

توطئة وتمهيد

(العصرُ العباسيُّ) دُرَّةٌ متألقة فى تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، بما كان فيه من حضارة زاهرة ، وتقدمٍ علمى هائل وإبداع أدبى باهر ، وبما تهيأله من امتداد الزمن وتعاقب القرون إذ بلغتْ مدته (خمسة قرون وربع القرن) من نهاية الثلث الأول للقرن الثانى الهجرى (١٣٢ هـ) [1] إلى منتصف القرن السابع الهجرى عندما انتهت الدولة العباسية نهاية مأساوية على أيدى المغول والتتار عام ٦٥٦ هـ .

وينقسم العصر العباسى إلى قسمين كبيرين :

١- (العصر العباسى الأول)

ومدته قرنان من الزمان من بداية (الدولة العباسية) بتولّى الخليفة العباسى الأول (عبدالله السفاح) الحكم بعد انهيار (الدولة الأموية) عام ١٣٢ هـ إلى دخول والى (الأهواز) (أحمد بن بويه) بغداد غازيا ونجاحه فى بسط سلطانه على (العراق) مقر الخلافة ، واعتراف الخليفة (المستكفى) [2] به وتفويض شئون الحكم إليه لتقوم بذلك دولة فى داخل الدولة العباسية هى (الدولة البويهية) عام ٣٣٤ هـ .

٢ - (العصر العباسى الثانى)

ويبدأ بقيام هذه (الدولة البويهية) تحت عباءة (الدولة العباسية الكبرى) فى العام السابق ذكره ، ويستمر بعد انتهاء حكم (البويهين) عام ٤٤٧ هـ ليشمل حكم (الدولة السلجوقية)

---

[1] وفيه زالت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية .

[2] الثانى والعشرون فى سلسلة ـ الخلفاء العباسيين البالغ عددهم ٣٧ خليفة .

التى تَلَتْهم ، حتى دخول التتار بغداد مخربين قاضين على الدولة العباسية فى المشرق تماما عام ٦٥٦ هـ ٠

(والعصر العباسى) بقسميه الأول والثانى هو أزْهَى عصور الحضارة الإسلامية ، وهو العصر الذى بلغت فيه الدولة العربية الإسلامية أوْجَ مجدِها السياسىّ (١) والاجتماعىّ والعلمىّ والثقافىّ وكتبتْ فيه أنصعَ صفحاتِ عزها وآيات عظمتها وفخرها فنبغ فيه أكبرُ علماء الإسلام فى شتى فروع المعرفة من شرعية ولغوية وكونية وفلسفية ، ولمع فيه أعظمُ شعراءِ العربية وأرْوَعُ كُتّابها مما يعجزُ الدارسون عن الإحاطةِ بآثاره وحصْرِ نتاجه ومؤلفاتِ رجاله٠

وقد حقق الأدب العربى فى هذا العصر نهضةً كبرى فى ميادين الشعر والنثر ،وحلق فى آفاق جديدة لم يعرفها من قبل فى أغراضِه وأساليبه ، ومعانيه وأخيلته ، ومناحيه وفنونه بحيث لا نجدُ مبالغةً فى وصفِهِ (بالعصرِ الذهبىِّ للأدبِ العربىّ) ٠

وهذه الدراسة التى نقدمها إليك أيها القارئ الكريم قسمان :

(القسم الأول) يشتمل على نصوص مختارة من (العصر العباسى الأول) شعره ونثره ٠

(والقسم الثانى) يشتمل على نصوص مُتَخَيَّرَةٍ مِن (العصر العباسى الثانى) شعره ونثره كذلك.والنصوص التراثيّة هى النبعُ الصافى ، والموردُ العذبُ لكلّ ما فى لغتنا الجميلةِ من كنوز ونفائس ، وآياتٍ رائعات ، سواءٌ فى الأسلوب واللفظ ، أو فى المعنَى والفكر ،أو فى العاطفةِ والوجدان أو فى التصويرِ والخيال

---

(١) حيث امتد نفوذها من الصين شرقا إلى الأندلس وشواطئ الأطلسى غربا ومن جبال (القوقاز) شمالا إلى أواسط إفريقية وشواطئ المحيط الهندى جنوبا ٠

وهى تجاربُ إنسانيةٌ رفيعةٌ عميقة ، وهى المُكَوِّنُ الأساسىُّ للأديبِ والناقد .

وإنها لمقتطفاتٌ قليلةٌ من هذا البستان الكبيرِ الرائع ومنتخباتٌ من فيضِ هذا البحرِ العظيمِ الزاخر ، لعلّ فيها ما يغريك بمواصلة الدخول فى هذا البستان لاقتطافِ المزيدِ من ثمارِهِ وبدائعِه ،وما يحفزك إلى مداومةِ خوضِ هذا البحر العُباب لاجتناءِ المزيدِ من كنوزه وذخائرِه - وإنا إذْ نقدمها إليك لنرجو أن يكونَ فيها أداءٌ لبعضِ الواجب نحوَ لغةِ (القرآن الكريم)، وإحياءٌ للأدب العربى فى جانبه التراثىّ ، وكشفٌ عن بعضِ ما فيه من قِيَمِ الأصالةِ والحضارةِ والإبداعِ والجمال .

واللهُ تعالى مِنْ وراءِ القصْدِ ..... هو المنعمُ بكلّ فضْلٍ والملْهمُ لكلّ خيْرٍ والهادِى للصّوابِ والرُّشْدْ .

المؤلف

القسم الأول

نصوص من العصر العباسى الأول

١٣٢ هـ - ٣٣٤ هـ
٧٥٠م - ٩٤٥م

أولا : من الشعر

النص الأول

١ - فى المدْح والسّياسةِ والحكْمةِ : لبشَّارِ بْنِ بُرْد

التعريف بالشاعر(نسبه وحياته) :

هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلى، شاعر من الفحول من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ([١]) ، فارسى الأصل عربى الولاء ، آباؤه مِنْ سَبْىِ(المهلب بن أبى صفرة) ووقع مِلك أبيه لبنى (عقيل بن)كعب بالبصرة فولد بشار ونشأ عتيقا لهم منسوبا إليهم ، وأولع من صغره بالاختلاف إلى الأعراب المقيمين ببادية البصرة ، فشب فصيحا سليم اللسان ، بعيدا عن الخطأ والعِىّ ، ولما قال الشعر بلغ فيه الذروة ، وهو آخر من استشهدَ علماءُ اللغةِ بشعره ٠ وُلد بشار أعمى وأصيب بالجدرى فأورثه ذلك قبح الوجه وبشاعة المنظر وكان مع ذلك فارعَ الطول ضخم الجثة ، مع شدة ذكاء وسرعةِ خاطر وصعوبةِ مراس وحدةِ طبْع ، وقد قال الشعر وهو صبى ، فلما بلغ مبلغ الرجال ، طار صيته ، وكان هَجّاءً خبيثَ اللسانِ جريئًا على الناس،فهابوه وجَهدوا فى اتقاءِ شره.وفلتاتِ لسانِه ، وقد قصد بشعرِه الوُلاةَ والأمَرَاءَ ثُمَّ الخلفاء يمدحُهُم وينالُ جوائزَهم فهو يتكسَّبُ بشعره ، ويرتزقُ من ذلك رزْقا ذا سعة ، ولكنه كان رقيقَ الدين شَرَّابا للخمر مَاجِنًا هَجَّاءً وقد أسرف فى الغَزَل الصريح وفى مدْح الخمر والعَبثِ بالناسِ وهجائهم حتى صارَ فتنة لشباب البصرة لِحلاوة شِعْرِه وانتشاره بينهم ، فشكاه عقلاءُ (البصْرة)إلى وُلاتِها ثم إلى الخليفة (المهدىّ)([٢]) فنهاه عن

([١]) أى أنه أدرك أواخر العصر الأموى وأوائل العباسى ومعظم ما وصلنا من شعره فى العصر العباسى حيث كان قد نضج واستحكمت أداته ٠

([٢]) ثالث الخلفاء العباسيين ٠

كل ذلك وهدده بالعقاب الصارم ، فانتهى ظاهرا ، واستمر على غَوايته باطنا ، وكلما سنحت له الفرصة ، وكان إلى جانب ذلك شُعُوبيا يحقد على العرب ويفضل العجم عليها ، وقد اتهم بالزندقة والخروج على الدين ، وتطاول على الوزراء بالهجاء ومنهم (يعقوب بن داود) وزير(المهدىّ)ويقال إنه هجا الخليفة نفسه بأبيات أقذع فيها فكان ذلك سببا فى مقتله عام ١٦٨هـ وكان قد جاوز السبعين من عمره .

منزلتـــه

وشعر بشار (فى الطبقة العليا) من الشعر العباسى متانةَ نسجٍ ، وعذوبةَ لفظٍ ، ورقةَ أسلوبٍ،وهو رأسُ المحدثين غيرُ منازعٍ ، وإمامهم فى الغزل والمجون والهجاء الفاحش ، ويمتاز شعره كذلك بالمعانى الدقيقة والأوصاف الرائعة والأخيلة البديعة وقد طرق أبواب الشعر كلها تقريبا وبرّز فيها من مدح ورثاء ووصف وفخر ،وغزل وخمر ، وحكمة ومثل .

مناسبة النص :

وهذا النص من قصيدة بعث بها إلى (إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب) الذى ثار على الخليفة العباسى (المنصور) فى(البصرة)وثار أخوه (محمدٌ) فى المدينة عام ١٤٥ هـ مطالبيْن بالخلافة لآل(علىّ بن أبى طالب)رضى الله عنه ، وكانت قلوبُ الناسِ مع محمد وأخيه ابراهيم حبا فى آل البيت الأقربين وبغضا لعسف (المنصور) وشدته وسفكه الدماء وكان بشار كغيره يتوقع نجاح هذه الثورة فأرسل بهذه القصيدة الميمية إلى(إبراهيم) (أقرب الرجلين إليه مكانا) ولكن الأمر انتهى بفشل الثورة وقتل الثائريْن الكريمين ، فكتم بشار القصيدة وحوّر بعض أبياتها حتى ينجو من عقاب (المنصور) ، وجعلها كأنها موجهة إليه :

النَّـــصّ ★

١- أقولُ لِبَسَّامٍ عليه جلالةٌ
غَدَا أَرْيَحِيًّا عَاشِقًا لِلمَـــــكَارِمِ

٢ - مِن الفاطِمِيِّينَ الدعاةِ إلى الهُدَى
جِهارًا ، ومَن يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ فاطِـمِ؟

٣ - سِراجٌ لِعيْنِ المُسْتضِيءِ وتَارَةً
يكونُ ظلاما للـــعَدُوِّ المُـزَاحِـمِ

٤ - إذا بلغَ الرَّأيُ المشورَةَ فاسْتعِنْ
بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحةِ حَـازِمِ

٥ - ولا تَجْعلِ الشُّورَى عليك غَضاضَةً
فَرِيشُ الخَوَافِي قُــوَّةٌ للقَوَادِمِ

٦ - وَمَا خَيْرُ كفٍّ أمْسَكَ الغُلُّ أخْتَهَا؟
وَمَا خيْرُ سيفٍ لمْ يُؤَيَّدْ بِقَـائِمِ ؟

٧ - وَخَلِّ الهُوَيْنَى للضَّعيفِ ولا تكنْ
نَؤُومًا فإنَّ الحزْمَ ليْـسَ بِـنَائِمِ

٨ - وإنك لا تَسْتَطْرِدُ الهمَّ بالمُنَى
ولا تبلغُ العَلْيا بغيْرِ المَـكَارِمِ

٩ - وما قَرَعَ الأقْوامَ مِثْلُ مُشيَّعٍ
أَريبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثْلُ عَالِمِ

١٠ - إذا كنْتَ فَرْداً هَرَّكَ القومُ مُقبلاً
وإنْ كنتَ هَيْناً لمْ تَفُزْ بالعَـزَائِمِ.

١١- فَأَدْنِ علَى القُرْبَى المُقَرِّبَ نَفْسَهُ
وَلا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَـيْرَ كاتِمِ

١٢ - وَحَارِبْ إذا لمْ تُعْطَ إلاَّ ظُلاَمَةً
شَبَا الحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ المَـظَالِمِ

★ ديوان بشار - شرح وتعليق محمد الطاهر بن عاشور -
ط الشركة التونسية ١٩٧٦م.

الدراسة اللغوية للنص :

الجلالة : العظمة ، الأَرْيَحِيَّةُ : الاهتزازُ للكرم ، الفاطميين : المنسوبين إلى (فاطمة الزهراء) رضى الله عنها ، السراج : المصباح ، المشورة : الاستعانة بآراء الآخرين .

النصيح : الناصح المخلص المجرب ، الحازم : ضد العاجز: القوى فى أمره الناهض به ، الغَضَاضَة : من الغض من الشيء وهو عيبه ونقصه ، الخَوَافِى : ريشاتٌ تحتِ جناح الطائر والقوادم : ريش الجناح الخارجَى الظاهر ، الغُلُّ : القيد ، قائم السيف : ما يمسك به منه ، الهُوَيْنَى : التساهل فى الأمور النَّؤُوم : كثير النوم والمراد الغافل ، الحَزْم : الحازم ، لاتستطرد الهم : لا تبلغ النجاح فيما يهمك ، المُنى : مجرد الآمال والتمنى بغير عمل .

قَرَعَ الأقوامَ : غلبهم وسادهم ، المشيَّع الأَريب : المؤيَّد العاقل اللبيب ، جَلَّى : كشف ، هرك القوم : زجروك ، أَدْنِ : من الدنوّ وهو القرب ، الظلامة : الظلم ، شبا الحرب : حد السيف .

(الأَغراض):

فى الجزء الأول من القصيدة كان الشاعر قد وجه التهديد والذم للخليفة العباسى (المنصور) بقوله :

(أَبَا جَعْفَرٍ) مَا طُولُ عَيْشٍ بدائِمٍ
وَلا سَالِمٌ عَمَّا قَلِيلٍ بِسالِمِ ... الخ

وفى هذا الجزء يخاطب الشاعر(إبراهيم بن عبدالله بن حسن) العلوىّ مادحا ومؤيدا وناصحا مخلصا أمينا - (فالمدح) جاء فى الأبيات من ١ - ٣ والنصح جاء فى بقية القصيدة على النحو

التالى من ٤ ـ ٦ الشّورَى وفضّلُها ، ٧ ـ ٩ الحزمُ والحكمة ، ١٠ ، ١١ الاستكثارُ من الأعوان المخلصين ، ١٢ التمسكُ بالثورة على الظالمين ٠

الدراسة الأدبية

١- في اللفظ والأسلوب :

الألفاظ منتقاة مختارة فيها قوة وفخامة تناسب الموقف ، والأسلوب مطبوع فيه متانةُ السّبْك وقوةُ الأسْر وما جاء من المحسنات فمقبولٌ جارٍ على السجية لا تكلف فيه كالطباق فى البيت الثالث بين (الضَوء والظلمة) وفى الخامس بين (الخوافى والقوادم) ٠

٢ – في المعاني والأفكار :

تمتاز المعانى هنا بالشرف والرفعةِ والعمقِ،مع الوضوح وقد حفلت بالحكمة المشرقة ، والمثل الصحيح والاستدلال المنطقى السليم ومن هذه الحكم الرائعة فى البيت الرابع وما بعده عندما تعرض الشاعر (للشورَى) وهى مبدأ عظيم له أكبر الأثر فى حياة الأمم التى تُحكمُ بمقتضاها،وتشقَى الشعوبُ التى تُحْرَمُ منها ، وقد أوصى الشاعر هذا المرشح لخلافة المسلمين بالعمل بها،وبين له أنها قوة للحاكم وزيادة فى أمره وعامل مهم من عوامل توفيقه ونجاحه ، وقد استدل على أهمية الشورى وجدواها بثلاثة أدلةٍ محسوسةٍ مُقْنعة:دليل فى البيت الخامس (فريش الخوافى قوة للقوادم) ودليلان فى البيت السادس : لاخير فى كف غُلت أختُها ، ولا خير فى سيفٍ مكسور القائم ، وفى الأبيات التالية التى تحدث فيها عن (الحزم والجُرْأة فى معالجة الأمور كان مقنعا فالضعف والغفلة لم يكونا أبدا من صفات القائد الناجح ، وفى البيتين العاشر والحادى عشر بين فى وضوح أضرار الانفراد بالنفس وبالرأى ، وفى البيت الأخير

(فى مصراعه الأخير) حكمة لا يجادل فيها اثنان (شَبَا الحرْبِ خيرٌ مِنْ قَبُولِ المظالِمِ) .

٣ - فى التصوير والخيال :

بشار فى تصويره هنا وكشأنه دائما([1]) مصور بارع ذو خيال محلق ففى البيت الثالث شبه ممدوحه (ابراهيم بن عبدالله) بالسراج يضىء لعين المستضىء وهو ينظر إلى تشبيه (عبدالله بن قيس الرقيات)فى مدحه(مصعبَ بنَ الزبير):

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهابٌ مِن اللّـ
ـهِ تَجلّتْ عن وجْهِهِ الظَّلْماءُ

وتصوير بشار أجمل لأن الشهاب قد يلمع ويختفى بسرعة ، أما السراج فمستقر ويضىء أطول مدة ممكنة ومن براعة بشار أنه جعل الممدوح فى نفس البيت (فى المصراع الثانى) ظلاما يغشى العدو فأثبت له صفتين متضادتين لكل منهما وقته المناسب وقد وُفق فى تشبيهه بالسراج لأن الناس فى ذلك الوقت الذى كثرت فيه الفتن والمظالم وادعاءات بنى العباس أنهم أَوْلَى بالخلافة ، كان الناس حينئذ فى حاجة إلى سراج يضىء لهم الطريق ويكشف عن هذه الأمور المشتبهة ، وانظر الى تصوير فائدة الشورى فى البيت الخامس وتقويتها لرأى المستشير ودعمها لأمره بريش الخوافى فى جناح الطائر وكيف أنه مع ضعفه يُقَوِّى القوادمَ ويؤازرها ويُعِينُهَا على الطيران ، ويبلغ بالطائر حيث يروم .

([1]) أليس هو القائل فى تصوير إحدى المعارك :

كأنَّ مُثارَ النقْعِ فوقَ رُءُوسِنَا
وأسْيافَنَا : ليلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ ؟

(الوحدة فى القصيدة) متحققة موضوعا فهو بإزاء زعيم ثورة يحبه وتدفعه محبته والإيمان بأحقيته بالولاية ـ إلى إزجاء خالص النصح له ولم يخرج عن هذا المعنى و (التجربة الشعرية) واضحة أيضا لأن بشارا عاش هذه الفترة القلقة فى حياة الأمة الإسلامية عقب استيلاء العباسيين على الحكم وكان ينتظر منهم كغيره إنصافا للأمة عامة ولأبناء عمومتهم الطالبيين خاصة ولكنهم خيبوا الظنون وأخلفوا الوعود واستبدوا بالأمور وساسوا الأمة بالشدة والعسف فلا عجب أن يفرح بشار حين يرى ثائرا من آل بيت النبى فانبرى يؤيده عن عاطفة صادقة وشعور حقيقى، وانفعال واقعى فكانت هذه القصيدة ٠

٤ – <u>الموسيقا ـ الوزن والقافية :</u>

القصيدة من البحر الطويل وهو بحر مناسب لغرض القصيدة فهو غرض جدى وهى أشبه بخطبة تأييد قوية وبذلك يمكن الحكم بتوفيق بشار فى اختيار هذا البحر لها (فعولن مفاعيلن أربع مرات) وجاءت القافية على حرف الروى وهو الميم وهو أحد الحروف القوية كذلك ذات الوقْع الفخم والرنين العالى والوضوح الشديد إذ هى من حروف الشفة الظاهرة فقد وُفِّقَ (بشار) فى القافية كما وفق فى البحر ، وبهذا اكتملت للقصيدة روعة الموسيقا إلى جانب الروعةِ الأدبية٠

****

النص الثانى

٢-(وَصْفُ مَجْلِسِ شرابٍ)

لأَبِى نُوَاس

(**تعريف موجزبالشاعر**) :

هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمِىّ ، وأبو نواس كنيته (ونواس من أسماء ملوك اليمن) كان جده من موالى (عبدالله بن الجراح الحكمى) والى خراسان من قِبَلِ بنى أمية ،وكان أبوه من جند(مروان بن محمد) آخر الخلفاء الأمويين وكانت أمه فارسية من (الأهواز) وقد انتقل به أبوه إلى (البصرة) فنشأ بها وتعلم وكانت حاضرةً من حواضرِ اللغةِ والعلم والأدب والشعر فنال من كلِ ذلك حظا موفورا بعد أن أتقن القرآن الكريم حفظا على (يعقوب الحضرمىّ) وكان من المتوقع أن يكون من الفقهاء والعلماء بيد أنه كان صاحب موهبة شعرية غلابة وقد تفتحت شاعريته حين تعرف على الشاعر (والبة بن الحباب) من شعراء (الكوفة)الماجنين فتخرج على يديه وسار على طريقته فى اللهو والمجون وضاق أهل البصرة به فهاجر إلى(بغداد)واتصل (بالرشيد) مادحا ثم (بالأمين) وحظى عنده وكانت له رحلة إلى مصر مدح فيها واليها (الخصيب)[1]

ويُعَدُّ أبو نواس رأسَ المحدثين من الشعراء بعد زعيمهم (بشار بن برد) فقد جمع فى شعره بين الجِدِّ والهزْل ، والجزالة والسهولة ، وأجاد فى كل أغراضه ، بيد أنه بالغ فى أغراض المُجُون ووصفِ الخمر والاستهتار بها حتى اشتهر بذلك ولقد قال فى وصفِ الخمرِ ومجالسِها وَوَلَعِهِ بها مالم يبلغه شاعر قبله فى جاهلية ولا إسلام ، وجاهر بالفسوق وشذ عن مألوفِ العرب بصرفه الغَزَل والتشبيبَ من أوصاف المؤنثِ إلى أوْصافِ المذكر ، وهو من المجددين فى الشعر وكان (شعوبيا) يميل

---

(١) هو الخصيب بن عبدالحميد من أمراء الدولة العباسية بمصر

إلى تفضيل العجم على العرب ،ويقال إنه تاب عن مجونه قبل وفاته التى كانت فى عام ١٩٦ هـ فى أواخر خلافة (الأمين) وقيل إن وفاته كانت بعد مقتل الأمين بقليل أى فى عام ١٩٩ هـ ([1]) حيث كان مصرع الخليفة الأمين فى سنة ١٩٨هـ وهذا أنموذج من شعره فى وصف مجلس خمر وشراب :

النَّصُّ ★

١- وَدَارِ نَدامَى عَطَّلوها وأدْلَجُوا
بها أثَرٌ منهمْ جَـديدٌ ودارِسُ

٢ - مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرَى
وأضْغَاثُ رَيْحَانٍ جَنِيٌّ وَيابِـسُ

٣ - حَبَسْتُ بها صَحْبِي فجددتُ عَهْدَهُمْ
وإنِّي على أمثالِ تلكَ لَحابِـسُ

٤- ولمْ أدْرِ منهمْ غيرَ ما شهدتْ بِهِ
بِشَرْقِيِّ (سَابَاطَ) الدِّيارُ البَسَابِسُ

٥ - أقَمْنَا بها يَوْماً ويوْمًا وثالثًا
ويومًا له يومُ التَّرحلِ خامِـسُ

٦ - تُدارُ علينَا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ
حَبَتْهَا بأنواعِ التَّصاوِيرِ (فَارِسُ)

٧ - قَرارَتُهَا (كِسْرَى) وفي جَنَباتها
مَهًا تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَـوَارِسُ

٨ - فللخَمْرِ مازُرَّتْ عليه جُيُوبُهَا
وللماءِ مَا دارتْ عليهِ القَلانِـسُ

★ ديوان أبي نواس تحقيق (أحمد عبدالمجيد الغزالي) ١٣٧٢هـ

([1]) ويرجّح هذا الرأى ما أورده الرواة لأبى نواس من رثاء فى الأمين وهو قوله :

طوى الموتُ ما بيني وبين محمدٍ .. وليس لما تطوى المنيةُ ناشـرُ
فلا وصْلَ إلا عَبْرَةٌ تستدرُّهَا .. أحاديثُ نفسٍ مالها الدهرَ ذاكرُ
لئنْ عمرتْ دُورٌ بمَنْ لا أوَدُّهُ .. لقد عَمُرتْ ممنْ أُحِبُّ المقابـرُ
وكنتُ عليهِ أحذَرُ الموتَ وَحْدَهُ .. فلمْ يبقَ لى شيءٌ عليهِ أحـاذِرُ

الدراسة اللغوية :

١ – أدلـج : سـار مـن أول الليل وربمـا استُعمِل لآخر الليـل
ندامى : جمع نديـم ومنـادم وهـو المجـالس على الشراب
دارس : قديم .

٢ – الزقاق : جمع زِقّ وهو وعـاء الخمـر وهـو الدَّنّ أيضـاً
أضغاث : جمع ضِغْث : وهو القبضة من العيـدان ، جنىّ : رَطب.

٤ – ساباط : موضـع يسمى ساباط كسرى فى (المدائن) على نهـر دجلـه ، والبسـابس : جمـع بَسْبَس : وهـو القفـر الخالى.

٦ – عسجدية : كئوس مطلية بالعسجد وهو الذهب أو فى لون الذهب .

٧ – مَهًا : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية ، تَدَّرِيهـا : تدفعهـا
القِسِىُّ : جمع قوس ، وهو آلة على هيئـة الهـلال ، تُرْمَى بها السهام .

٨ – الجيـوب : جمـع جيب وهـو طـوق الثـوب (الفتحـة فـى أعـلاه) القلانِـس : جمـع . (قَلَنْسُوة) وهـو غطـاء فارسـىّ للرأس .

المعانى العامة :

يقول أبو نواس : رُبَّ دارٍ يغشاها إخوانُ الشراب قد أَخْلَوْهـا بعد أن عمروها مدة ، وسافروا مدلجين تاركين بها آثارهم ؛ فهذه أماكنُ جَرّ الدّنان على الأرض واضحـةٌ ، وهـذه أعـوادُ الريْحـانِ التى كانوا يزينون بها مجلسـهم متفرقـةً فى المكـان ، منهـا اليـابسُ ومنهـا الـذى مـازال غضًّـا طرِيًّا ، رُبَّ دار هـذا شـأنُها اخترتُهـا لأصحـابى لتكون مقرَّ لهْوٍ وموطـنَ شُرْب وقَصْف وأقمنـا بهـا

فجددنا عهد السرور ، وكم أنا حريص على ألا تفوتَنا أمثـالُ هـذه الفرصة الرائعة ، وما عَلِمنا مِـن أحوال مَنْ سبقونا شيئًا سـوى مادلت عليه آثارهم التى خلّفوها فى هذه البقعة الخالية الواقعة فـى شرقىّ (ساباط) ولقد أقمنا فى هذا المكان أربعة أيام حافلة نشرب الخمر فى كئوس عَسْجدية أبدعَ الفرسُ صناعتهـا فجـاءت آيـة مـن آيات الفنّ الفارسىّ الجميل ، لقد صَوّرُوا مَلِكَـــهم العظيـــمَ (كِسْرَى) فى قيعان الكئوس ، ورسموا فـى جنباتهـا منظـرا مـن مناظرِ الصيد والقنص : فوارسَ على صَهَوات خيولهم فى أيديهم القِسِىّ يطاردون البقرَ الوحشىّ ، وترتفع الخمرُ فى هـذه الكئـوس إلـى أزرارِ أطـواقِ ثيـاب هـؤلاء الفرسـان المصوَّريـن وَتُكَمَّـلُ الكئوسُ بعدَ ذلك بالماءِ إلى موضعِ دَوَرَانِ (القلانِس) من رُءُوسِهِمْ .

الدراسة الأدبية :

التحليل والنقد ومواطن الجمـال : هـذا الغـرض الشـعرى (وصف الخمر ومجالسـها) مـن الأغـراض التـى بـرع فيهـا (أبـو نواس) واشتهر بها وتفوق فيها، وهذه القطعة من شعره تتمـيز عـن سائر خمرياته (بالاعتدال) ، وعدم الإيغال فى أوصـافِ الخمـرِ وفِعْلِهـا بـالنفوس والتشـبيبِ بسـاقيها فـاقتصر حديثُـهُ عنهـا علـى المعانى التالية :

١ – وصفِ المكان الذى اختاره لأصحابه ليتعاطَوْا فيهِ الخمرَ أياما ، والإشادةِ بمَنْ سبقوهم إلى هذا المكان ، وَنَعْتِ مـا تركوا فيه من آثار .

٢ – حرصِ (أبى نواس) الشديد على غَشَيَانِ هـذه المجـالِسِ وتزعُّمِهِ لزمرةِ الشاربين .

٣ – ذكر الشاعر فى الأبيات شيئا من رُسُومِ الشرابِ وتقـاليدِهِ فى هذا العصر وهى :–

أ – تزيين هذه المجالس بالرياحين والزهور لتكتمل لمن يغشوْنَها متعةُ النظرِ والشمِّ إلى جانب متعتهم بالشراب.

ب – أن المدة التى كانوا يتفرغون فيها للشراب فى مثل هذه الرحلة الخمرية كانت فى حدود أربعة أيام.

جـ – أن الخمر كانت تدور على الشاربين مرة بعد مرة يدور بها الساقى (الذى لم يصرح بذكره) فى هذه القصيدة وانما ألمح إليه فقط . وكان جلوسُهُم فى الغالب على شكلِ دائرة كما صرح بذلك فى قصيدة خمرية أخرى إذْ يقول :

لوْ تَرَى الشَّرْبَ حولَهاَ مِن بَعيدٍ
قلتَ قومٌ مِنْ قَرَّةٍ يَصْطلونَاَ

وَغَزَالٍ يُديرُهَـــا ببنَانٍ
ناعِمَاتٍ يزيدُها العَصْرُ لِينا

د – أن الخمر كانت تُصَبُّ لهم فى كنوس زجاجيةٍ مموَّهَةٍ بالذهب من صناعة الفرس ، وقد حُلِّيت هذه الكئوس بالصُّورِ والرسومِ الجميلة .

هـ – أنهم لم يكونوا يشربون الخمر صِرْفًا (خالصة) بل كانت تُشَعْشَعُ لهم بالماء (تُمْزَجُ) بِنِسَبٍ ومقادير معينة . وقد أجاد الشاعر إيرادَ هذه (المعانى) فى سهولة ووضوح وتسلسل ، أما (ألفاظه) فعذبة مختارة مع جزالتها وقوتها .

ولقد كان تكرار كلمة (يوم) في البيت الخامس ثلاث مرات حَرِيًّا أن يَعيب البيت ، لولا أن الشاعر في مقام (التلذذ) بذكر هذة الأيام السَّارة السعيدة – في نظره – فاستعادتها بهذا التكرار له ما يبرّره ، ولم تخل القصيدة من بعض المحسنات البديعية غير المتكلفة مثل (الطباق) بين (جديد ودارس) وبين (جَنِيّ ويابس) و(الجناس) بين (حَبَسْتُ) و(حابس) ٠

التصوير والخيال :

القصيدة تكاد تكون خالية من الصور الجزئية (التشبيه والاستعارة والكناية) ولكنها لم تخل منها تماما فمن ذلك الكناية عن اليوم الرابع والأخير في رحلتهم الخمرية بالشطر الثاني من البيت الخامس ، وفي كلمة (حَبَتْهَا) في البيت السادس استعارة موحية بعطاء الفنان الفارسي وإتقانه ٠

وقد استعاض الشاعر عن قلة الصور الجزئية بقوة وجمال(الصورة الكلية) للأبيات التي تحس بهما في قدرته على تصوير مجلس الشراب هذا وإتيانه بالتفاصيل الدقيقة وتصوير نفسه من خلال ذلك ومدى تعلقها بأمثال هذه المجالس وحرصه على غشيانها وسعادته بها ٠

والفضل في قوة الصورة العامة وجمالها يرجع إلى أمرين:

١ – أن هذا الوصفَ نابعٌ من (تجربة) حقيقيةٍ عاشها الشاعر معظم حياته فكان انفعاله بها صادقا ، ومن هنا كان أبو نواس أقدرمن غيره من الشعراء على الإبداع في هذا الغرض (وصف الخمر) ٠

٢ – ما تحقق فى الأبيات من (وحدة الموضوع) فكلها فى إطار غرضها الأصلى ، لم تخرج عنه ، ولم تستطرد إلى سواه ، فجاءت متلاحمة الأجزاء ، موصولة الأعضاء كالجسم الواحد ، ليس بها خلل ولا تفكك ولا اضطراب .

ولا ننسى فى النهاية أن نلمح نزعة أبى نواس (الشعوبية) فى الأبيات وإن كانت خفية غير مباشرة ، فهو يشيد بالفنّ الفارسىّ وإبداعه وتنوعه وإتقانه وتفوقه ولا ينسى (كسرى)* مناط مجد الفرس ورمز فخرهم وعزهم!! .

****

★ فى البيت السابع .

٣ - النص الثالث (فِى الزُّهْد)
لِأَبِى العَتَاهِيَة
(ترجمة موجزة للشاعر)

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد ويرجع أصله إلى قبيلة (عَنَزَة) العربية العدنانية وقد غلبت عليه كنية (أبى العتاهية) التى لحقته على أثر قول الخليفة (المهدى) له ((أنت امرؤ متحذلق (متظرف) مُعَتَّه)) أى فيه شئ من الجنون - غلبت عليه هذه الكنية الغريبة حتى أنست الناس كنيته الأصلية (أبا إسحاق) ولد أبو العتاهية ونشأ (بالكوفة) فى أسرة فقيرة تحترف بيع (الجِرار) ومارس معهم هذا العمل فى صباه ثم استنكف منه حين أحس من نفسه تطلعا إلى موضع أكرم ، وآنس منها تشوقا إلى عز الأدب وشرف العلم ٠ وكيف لا وهو يعيش فى حاضرة زاهرة من حواضر الإسلام ، تزخر بالعلماء واللغويين ، وتموج بالأدباء والشعراء فى ذلك العصر وهى (الكوفة) ؟! وبعد أن نهل من هذه المناهل الثرة ([1]) ماشاء الله أن ينهل بدأ يمتحن مواهبه ، فاذا هى تتجه بقوة إلى قول الشعر فقاله فى شبابه ، وسلك فيه مسلك الخلعاء والماجنين فى الكوفة ونافس كبار شعرائها (كوالبةّ بن الحباب) وكانت بينه وبين هذا الشاعر مهاجاة ([2]) ولما ذاع صيته ، وضاقت الكوفة بآماله رحل إلى (بغداد) طامعا فى جوائز الخلفاء من بنى العباس فمدحهم ، ونال سَنِيّ جوائزهم ، وحظى عند (المهدى) ومِنْ بعده عند ولديه (الهادى) و(الرشيد) ثم عند (المأمون) بن الرشيد وله مع كل منهم الأخبار الطريفة والمنزلة الجليلة ٠

([1]) الثرة الغزيرة ٠

([2]) راجع قطوف الأغانى مكتبة صادر بيروت (أبو العتاهية) ص ١٤ ٠

وكان فى أول قدومه بغداد قد اشتهر بالغزل الرقيق ولا سيما فى (عبدة) وهى جارية جميلة من جوارى قصر الخلافة تعلق بها ولكن بلا أمل ثم عزف عن الغزل والتزم الأغراض الجدية ــ وتاقت نفسه إلى دراسة مذاهب المتكلمين (أصحاب علم الكلام) وأهل الحكمة فتأثر بهم واثر الزهد فى الدنيا وأضرب عن قول الشعرجملة إلا فى الموعظة والحكمة وشق ذلك على محبى فنه وفى مقدمتهم الخليفة (هارون الرشيد) فأمره بمعاودة القول فى الغزل فأبى فحبسه مدة ثم أطلقه .

منزلته الشعرية :

لمع أبو العتاهية فى الشعر (ببغداد) حتى كاد يكون أزهى نجم فى سمائها ولقد سامى كبار شعراء عصره (كبشار) و(أبى نواس) اللذيْن شهدا له بالإجادة ، وكانت ميزته الكبرى أنه يقول الشعر دون تكلف فهو الشاعر المطبوع بحق ، حتى قيل فيه :" إنه أطبع زمانه شعرا ، وأسرعهم بديهة وارتجالا) ([1]) فهو متدفق القريحة ، سَيَّال الشاعرية كثير القول فى عذوبة لفظ وقرب معنى ورقة أسلوب ، ولقد قال هو عن نفسه (لوشئتُ أن أجعل كلامى كله شعرا لفعلتُ) وهو فى العصر العباسى ــ بل فى الأدب العربى كله ـ أميرُ شعراء (الحكمة والزهد) ليس له فيهما ضريب ، ولم يلحق شأوه فيهما أحد ، فهو صاحب الحِكَم الرائعة والزهديات الخالدة التى تَحَدَّتْ (موجةَ المجونِ والتحلل) التى قادها (بشارُ وأبو نواس ووالبة بن الحبابِ) وأشياعُهُم فصَدَّعَتْ أركانَها وزلزلتْ بنيانَها ، ووقفتْ سدًّا منيعا دون طوفانها .

(من أخلاقه) : قيل انه كان بخيلا مقترا على أهله وخدمه مع يساره ، وكثرة ما حوى من المال، وهذا خُلق يتنافى تماما مع أقواله فى الحكمة وشعره فى الزهد وربما كانت هذه التهمة مما

([1]) الارتجال : قول الشعر من وحى الموقف دون إعداد سابق .

أشاعه عنه أعداؤه وحاسدوه الذين رموه ظلما (بالزندقة) ([1]) كذلك وما أكثر هؤلاء الحاسدين من معاصرية وبخاصة من الشعراء المنافسين والواجدين عليه حظوته وتقدمه لدى الخلفاءومنزلته التى كان يتمناها كثير منهم فلا يصل إليها ٠

وقد عاش حتى جاوز السبعين من عمره وتوفى ببغداد فى خلافه المأمون عام ٢١١هـ على أرجح الأقوال ٠

أنموذج من شعر أبى العتاهية : (٢)

٣ – فى الزهد

١- خانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ
أيُّهَا القَلْبُ الجَمُوحُ !

٢-لِدواعِى الخيرِ والشرِّ
دُنُوٌّ ونُزُوحُ !

٣ – هلْ لمطْلُوبٍ بذنبٍ
توبةٌ منه نَصُوحُ ؟

٤ – كيفَ إصلاحُ قلوبٍ
إنما هُن قُرُوحُ ؟

٥ – أحْسَنَ اللهُ بنا أن
الخطايا لا تفوحُ !!

٦ – فإذا المستورُ منّا
بين ثَوْبَيْهِ فضُوحُ !

٧ – كمْ رأيْنا مِنْ عَزيزٍ
طُوِيتْ عنه الكشُوحُ !

٨ – صاحَ منْه برَحيلٍ
صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ !

([1]) الزندقة : الخروج عن العقيدة الصحيحة والمروق من الدين ٠

(٢) ديوان أبى العتاهية ط دار الكتب العلمية - بيروت ب ت

٩ -موتُ بعضِ الناسِ فــــى الأرْ
ضِ على قومٍ فتُــــــوحُ !

١٠ - سيصيرُ المرءُ يـــوما
جَسَـــدًا ما فيـــه رُوحُ

١١- بين عينىْ كُلِّ حَـــىٍّ
عَلَمُ المَـــوْتِ يلـــوحُ !

١٢ - كلنا فى غفلـــةٍ والْـ
مَوْتُ يغْـــدُو ويَـــرُوحُ !

١٣ -لبنِى الدنيا مِنَ الدُّنْـ
يَا غبوقٌ وصَبُـــوحُ !

١٤ -رُحْنَ فى الْوَشْيِ وأصْبَحْـ
ـنَ عليهـــنَّ المُسُوحُ

١٥ - كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْـــ
ـرِ له يومٌ نَطُـــوحُ !!

١٦ - نُحْ على نفسِكَ يامِسْـ
ـكِينُ إنْ كنـــتَ تَنُوحُ !

١٧ - لتَمُوتَنَّ وَإنْ عُمِّـــ
ـرْتَ ماعُمِّرَ (نُـــوحُ) !!

<u>فى الدراسة اللغوية</u> :

١- الطَّرْف : البصر ، الطَّمُوح : الشديد المتطلع ، الجَموح : الذي يركب هواه فلا يمكن رده .

٢- دُنُوّ : قُرْب ، نزوح : بعد

٣ - توبة نصوح : صادقة .

٤ - قُروح : جروح .

٧ - يقال طوى كشحه عن فلان : أعرض عنـــه وقاطعـــه ، والكشح من الجسم ما بين الخاصرة إلى الضلع الخفى .

٨ - الصَّدُوح : الصَّيَّاح الشديد الصوت .

١٣ – الغَبوق : ما يشرب آخر النهار والصَّبوح : ما شرب في أوله .

١٤ – الوَشْيُ : نقش الثوب بالألوان المختلفة ، المُسُوح : واحدها مِسْح : ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا وقهرا للجسد .

١٦ – نُحْ : من النَّوْح والنياحة ومعناهما : البكاء

التحليل والدراسة الأدبية للقصيدة :

١ – بدأها بتوبيخ هذا القلب المتمرد على الحق والذى ضَلَّلَهُ بصرٌ متطلع إلى الدنيا وزخرفها الباطل .

٢ – مذكرًا بأن الانسان فى الدنيا عُرْضة لنوازع الخير والشر ابتلاء واختبارا من الله .

٣ – وداعيا إلى توبة صادقة من الذنوب الموبقة والخطايا المهلكة وموبخا من فسدتْ قلوبهم .

٤ – ومبينا فضل الله تعالى على عباده بالسَّتْرِ الجميل وعدم تعجيل العقوبة .

٥ – وسائقا العِبَرَ بالموت الذى يقهر العظماء وقد يكون منهم الظالم المتجبر الذى يستريح الناس بموته .

٧ – مؤكدا على حقيقة الموت الذى لا يفر منه أحد ومع ذلك يغفل الناس عنه وَيَنْسَوْنَه .

٨ – واعظا بحال الدنيا المتغير ، فبينما أهلها ينعمون بِلُبْسِ الوَشْيِ والحرير إذا أجسامهم بعد قليل [illegible] فى الاكفان المجردة من كل زينة .

٩ – ومنذرا كل ظالم مغتر بقوته بيوم يفاجئه الدهر فيه ويحطمه .

١٠ – داعيا فى النهاية كل عاقل أن يبكى على نفسه وعلى ما قدم من سيئات بدلا من البكاء على الغير ، محذرا من الاغترار بطول العمر فإن النهاية المحتومة هى الموت الذى لا شك فيه ٠

النواحى الجمالية :

١ – أول ما نلاحظ علىالقصيدة (رقة الألفاظ وسهولة المعانى) وهذه سمة أبى العتاهية فى شعره كله ، كما نلاحظ الموسيقى الشجية المناسبة للغرض من القصيدة فهى من(مجزوء الرَّمَل):

فَاعِلاتُنْ فاعلاتن ٠٠ فاعلاتن فاعلاتن

وقد بدأها بخطاب نفسه ، وخطاب كل من يتعظ من قارئ أو سامع ـ هذا الخطاب القاسى ـ إذْ هو فى مقام زجر النفس وتأديبها ، ويقال إن القصيدة كانت موجهة إلى الخليفة (هارون الرشيد) أنفذها إليه الشاعر فى بعض مواقفه معه ، مَوْعظة له وتذْكِرة ، فأبكت الرشيد بكاء مُرًّا ٠

٢ – تتميز القصيدة بتسلسل (أفكارها) ، وتماسك (عناصرها وأجزائها)، فهي تمثل (وِحْدةً موضوعية) متكاملة لا شذوذ فيها ٠

٣ – عاطفة الشاعرقوية وصادقة ، فاتجاهه إلى الزهد معروف ، ولقد سجن فى سبيل تمسكه بهذا المبدأ وتطبيقه لهذا المسلك الذى أحبه واختاره سبيلا فى الحياة بعد أن خاض (تجاربها) الحلوة والمرّة وخرج منها بهذه الفلسفة ، ولذا جاءت أبياته جيدة التعبير شديدة التأثير فى النفس٠

فى التصوير والخيال :

نُحِسُّ الروعة والإبداع فى القصيدة كلها ففى البيت الأول صَوَّرَ التلب فى اندفاعه إلى الباطل بالفرس الجَمُوح فى صعوبة قِيادِهِ وشدة جِـرَانِهِ (وفى البيت الثالث) استفهام بلاغى فيه (استبطاء) وفيه (توبيخ) على هذا الاستبطاء لمن يُسَوِّفُ فى التوبة مع كثرة ذنوبه ٠

(وفى البيت الرابع) تصوير للقلوب إذا فسدت فى صورة الجُروح الناغرة(١) مع ما فيه من أسلوب القصر وأسلوب الاستفهام التوبيخى الواقع موقعه ٠

(وفى البيت الخامس) تصوير للخطايا فى صورة شىءٍ حِسِّىٍّ نتن الرائحة تنفر منه النفوس الزكية ٠

(وفى البيت السابع) كنايةٌ مؤثرة عن الموت وكيف أنه إذا لحق بإنسان انقطع إقبال الناس عليه إلى الأبد ٠

(وفى البيت الثامن) تصويرٌ لمن انتهى أجله فى صورة من يلبِّى صائحا بالرحيل فى سفر من الأسفار ٠

(وفى الحادى عشر) صَوَّرَ ظهورَ حقيقةِ أن الموتَ مكتوبٌ على كل حى فى صورة حِسّية : صورة عَلَمٍ يلوح بين العينين يراه كل مبصر ٠

(وفى الثانى عشر) صور الموتَ فى صورة حية مُحَسَّة فهو لكثرة ما يَغْشَى الأحياءَ كأنه إنسان نشط لا يزال يغدو ويروح بينهم ٠

---

(١) نغر الجرح : فسد ٠

(وفى الثالث عشر) أراد تصوير حظ الإنسان القليل وعمره القصير فى هذه الدنيا فضرب لذلك مثلا بِوَجْبَتَيْنِ أو شَرْبتين إحداهما فى الصباح والأخرى فى المساء ، وما وجبتان ؟ وما مقدارهما ؟ ٠

(وفى الخامس عشر) صور الظالمَ المغترَّ بقوته فى صورة حيوان قوى شديد النطح ، وصور (اليوم) الذى يُقْتَصُّ فيه من هذا الظالم المغرور بحيوان أشد نطحا وأقدر على المقارعة والتحطيم ٠

****

النصُّ الرَّابع

٤ - سِينيَّةُ البُحْتُرِيِّ فِي إيوَانِ كِسْرَى

أولا : النص واللغة : (*)

١ - صُنْتُ نفسِي عما يُدنِّسُ نفسِي
وترفَّعْتُ عنْ جَدَا كلِّ جِبْسِ

٢ - وتماسكتُ حينَ زَعْزعني الدَّهـ
ـرُ التماسًا مِنْهُ لِتَعْسِي ونَكْسِي

٣ - بُلَغٌ مِنْ صُبابةِ العَيْشِ عِنْدِي
طَفَّفَتْهَا الأيَّامُ تطْفِيفَ بَخْسِ

٤ - وَبعيدٌ مَا بَيْنَ وارِدِ رَفْهٍ
عَلَلٍ شُرْبُهُ ، ووَارِدِ خِمْسِ

٥ - وكَأَنَّ الزمانَ أصبحَ محْمو
لاً هواهُ مع الأَخَسِّ الأَخَسِّ

٦ - واشْترائِي العِراقَ خُطةَ غَبْنٍ
بَعْدَ بَيْعِي الشَّآمَ بَيْعةَ وَكْسِ

٧ - لا تَرُزْنِي مُزَاوِلاً لاخْتِبَارِي
عِنْدَ هَذِي البلْوَى فتُنْكِرَ مَسِّي

٨ - وقديمًا عَهِدتَنِي ذَا هَنَاتٍ
آبِيَاتٍ على الدَّنِيَّاتِ شُمْسِ

٩ - ولقدْ رَابَنِي نُبُوُّ ابْنِ عَمِّي
بعدَ لينٍ مِن جانبيْهِ وأُنْسِ

١٠ - وَإذَا مَا جُفِيتُ كنتُ حَرِيًّا
أنْ أرَى غيْرَ مُصْبِحٍ حيثُ أُمْسِي

(*) راجع ديوان البحتري بشرح (رشيد عطية) ط المطبعة الأدبية .

١١- حَضَرَتْ رَحْلِىَ الهمومُ فوجّهْـ
ـتُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسِى

١٢ - أتسَلَّى عن الحُظُوظِ وَآسَـى
لِمَحَلٍّ مِــنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ

١٣ - ذَكّرَتْنِيهمُ الخُطُوبُ التَّوالِـى
ولقدْ تُذكِرُ الخُـطُوبُ وتُنْسِـى

ب - الدراسة اللغوية :

١ - جدا كل جبس : عطاء كل لئيم ٠

٢ - التعس : الهلاك والنكس : السقوط على الرأس ٠

٣- البلغة : ما يكفى ولا يفضل ، الصبابة : البقية ، التطفيف : النقص ، البخس : الغبن والظلم ٠

٤ - الرفه : العيش اللينّ ، والعلل : الشرب تباعا، الخِمس بالكسر : إظماء الإبل ، وهو أن ترعى ثلاثة أيام وتشرب فى اليوم الرابع ٠

٥ - اشترائى العراق : إقامتى بها ، بيعى الشأم : رحلتى عنها وهى موطنى

٦ - رازه : جرّبه ٠ ٨ - الهنَات : خصال شر ، شمس : عنيدة لا تذل

٩ - رابنى : أوقعنى فى الريب والشك ، النُبُوُّ : المراد به النفور ، وابن عمه يقصد به الخليفة(المنتصر) بن المتوكل٠

١٠ - جُفيت : من الجفاء وهو المباعدة ٠ ١١ - العَنْس : الناقة القوية ٠

١٢ - آسى : أحزن ، آل ساسان : أكاسرة الفرس ، دَرْس : خَرِب ٠

١٣ - الخطوب : المصائب ٠

١٤ - وَهُمُو خَافِضُونَ فِى ظِلِّ عَالٍ
مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العيونَ وَيُخْسِى !

١٥ - مُغْلَقٍ بابُهُ عَلَى(جبل القَبْـ
ـقِ) إلى دَارَتَىْ (خِلَاطٍ وَمَكْسِ)

١٦ - حِلَلٌ لمْ تكنْ كَأَطْلَالِ (سُعْدى)
فى قِفارٍ مِن البَسَابِسِ مُلْـــسِ !

١٧ - وَمَسَاعٍ لوْلا المُحَابَاةُ عِنْــدى
لمْ تُطِقْها مَسْعَاةُ (عَنْسٍ)وَ(عَبْسِ) !

* * *

١٨ - نَقَلَ الدهرُ عَهْدَهُنَّ عن الجِدَّ
ةِ ، حتى غَدَوْنَ أَنْضَــاءَ لُبْسِ !

١٩ - فكأنَ (الجِرْمَازَ) مِنْ عَدَمِ الأُنْـ
ـسِ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّـةُ رَمْــسِ !

٢٠ - لوْ تراهُ علمتَ أَنَّ الليالــى
جَعَلَتْ فيه مَأْتَماً بَعْدَ عُــرْسِ !!

٢١ - وهْوَ يُنْبِيكَ عنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ
لا يُشَابُ البيانُ فِيهِمْ بِلَبْــسِ !

* * *

٢٢ - فإذا ما رَأَيْتَ صُورَةَ (أَنْــطَا
كِيَّةَ) ارْتَعْتَ بيْنَ (رُومٍ)وَ(فُــــرْسِ) !

٢٣ - والمَنَايَا مَوَاثِلٌ و(أنوشِــــرْ
وَانَ) يُزْجِى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ !!

٢٤ - فى اخْضِرَارٍ من اللباسِ على أَصْـ
ـفَرَ ، يَختالُ فِى صَبِيغَـــةِ وَرْسِ

٢٥ - وَعِراكُ الرِّجالِ بينَ يديــــهِ
فِى خُفُوتٍ منهمْ وَإِغْمَاضِ جَــرْسِ
٢٦ - مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِى بعاملِ رُمْــحٍ
وَمُلِيحٍ مِنَ السِّنانِ بتُــــرْسِ
٢٧ - تَصِفُ العينُ أَنهمْ جِــدُّ أَحْيَــا
ءٍ ، لهمْ بينهمْ إِشارةُ خُــــرْسِ
٢٨ - يَغْتَلِى فيهمُ ارْتِيابِىَ حَــتَّىَ
تَتَقَرَّاهُمُو يَداىَ بِلمْـــــسِ !!

الدراسة اللغوية :

١٤ - خافضون : عيشُهمْ رَغْد ، يُحْسِرُ العيـون : يضعفها إذا نظرتْ تتبينُ ارتفاعَه ، يُخْسِى : يؤلم •

١٥ - (جبل القبق) فى بلاد القوقـاز ، (خـلاط ومكس) من مدن أرمينية الوسطى •

١٦ - حِلل : جمـع حِلّـة وهـى المكـان يـنزل فيـه النـاس والبسابس : القفار •

١٧ - مساعٍ : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقْها : لا تقدر عليهـا وتساميها (عَنْس) : قبيلة عربية يمنية وعَبْس قبيلـة(عنـترة ابن شداد)، وهى من قبائل (نجد) •

١٨ - أنضاء : جمع نِضْو : المهزول من الحيوان • لُبْس : استعمال •

١٩ - (الجِزْماز) الإيوان نفسه أو بناء كان عنده ، والرَّمْس : القبر •

٢١ - اللَّبْسُ : عدم الوضوح •

٢٢ - (أنطاكية) : بلد فى شمال الشام ، ارتَعْتَ : فَزِعْتَ •

٢٣ - المنايا مواثل : قائمـات حـاضرات ، (أنوشـروان) : أحد الأكاسرة المشهورين بالعدل وقد وُلد النبى صلى اللـه عليه وسلم فى أيامه، يُزَجِّى الصفوفَ : يسوقُها ، الدِّرَفْس : العَلَم الكبير •

٢٤ - الورس : نبات أصفر ٠
٢٥ - خفوت : سكون ٠ الجَرْس : الصوْت ٠
٢٦ - المَشِيح : الحذر ، والمَلِيح مثله ، التّرس : المِجَنّ الذى تُتّقَى به الضربات
٢٨ - يغتلى : من الغلوّ والزيادة ، تتقراهم : تتتبعهم ٠

٢٩ - قدْ سَقَانى ولمْ يُصَرِّدْ (أبو الغَوْ
...ثِ) على العَسْكرَيْنِ شَرْبَةَ خلسِ !
٣٠ - مِنْ مُدَامٍ تقولُهَا هى نجْـــمٌ
أضوأَ الليلَ ، أَوْ مُجَاجَةُ شَمْـــسِ !!
٣١ - وتراها إذا أجدّتْ سُـــرورًا
وارْتياحًا للشارِبِ المتحسّـــى
٣٢ - أُفْرِغَتْ فِى الزُّجَاجِ مِنْ كل قَلْبٍ
فَهْيَ مَحْبُوبَةٌ إلَى كلّ نفْـــسِ !
٣٣- وتوهّمْتُ أنّ كِسْرَى (أبَرْويـ
ـزَ) مُعَاطِىّ و(البَلَهْبذ) أُنْسِى !
٣٤ - حُلمٌ مُطبِقٌ على الشّكّ عَيْنِـى
أَمْ أمانٍ غَيّرْنَ ظنّىَ وحَدْسِـــى؟! !!

• • •

٣٥ - وكأنّ الإيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصنْـ
...ـعَةِ جَوْبٌ فِىجَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسِ !
٣٦ - يتظنّىّ مِنَ الكآبةِ أنْ يبـْـ
...ـدُو لِعِينَىْ مُصبحٍ أَوْ مُمَسِّـــى
٣٧ - مُزْعجاً بالفِراقِ عَنْ أُنْسِ إلْفٍ
عَزّ ، أوْ مُرْهقًا بِتَطْلِيقِ عِـــرْسِ !!

٣٨ - عكستْ حظَّهُ اللَّيالي وَباتَ (الْـ ... مُشْتَرِى) فيهِ وهْوَ كوْكَبُ نَحْسٍ !

٣٩ - فَهْوَ يُبْدِى تَجَلُّداً وَعَلَيْــهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلاكِلِ الدَّهْرِ مُرْســـى !!

* * *

٤٠ - لَمْ يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الدِّيـ ... بَاجِ ، واسْتُل مِنْ سُتورِ الدِّمَقْــسِ !

٤١ - مُشْمَخِرٌّ تَعْلو لَهُ شُرُفاتٌ رُفِعَتْ فِى رُؤُوسِ (رَضْوَى) وَقُدْسِ)

٤٢ - لابِسَاتٌ مِنَ البياضِ فما تُبْـ ... ـصِرُ مِنْها إلاَّ غلائِلَ بُـــرْسِ

٤٣ - لَيْسَ يُدْرَى أَصُنْعُ إِنْسٍ لِجِــنٍّ سَكَنوهُ ، أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لإِنْــسِ !!

٤٤ - غَيْرَ أَنِّى أَراهُ يَشْهَدُ أَنْ لَــمْ يَكُ بَانيهِ فِى المُلوكِ بِنِكْـــسِ !!

الدراسة اللغوية :

٢٩ - لم يصـرِّد : لـم يقلـل (أبـو الغـوث) : ابـن الشـاعر ، خَلس : خفاء ·

٣٠ - مُدام : خمر ، مُجاجة شمس : خلاصة ضوئها ·

٣١ - المتحسى : الشارب على مهل ·

٣٣ - (أَبَرْويز) : أحد ملوك الفرس ،(البلَهْبذ)أحد القادة ·

٣٤ - الحدْس : التخمين ·

٣٥ - الجَوْب : الخرق الأَرْعَن : الجبل ذو الرَّعن وهو أنف يتقدم الجبل ، الجَلس : العالى الثابت ·

٣٦ - يَتَظَنَّى : يُظَنّ · ٣٧ - الإلف : الأليف كالصديق ·

٣٨ – المشْتَرِى : كوكب سعد عند الفلكيين ، النحْس : ضد السعد .

٣٩ – التجلد : تكلُّف الْجَلَد والصبر ، الكلكل: الصدر والمراد الثقل الشديد

٤٠ – بُزَّ : سُلِبَ ، اسْتُلَّ ، أُخْرِجَ وانتُزِعَ الديباج : الثوب سداه ولحمته حرير ، الدِّمَقْس : الحرير الأبيض .

٤١ – مُشْمَخِرٌّ : عَالٍ ، شُرُفات القصر : ما أشرف من بنائه ، (رضوى): جبل بالحجاز قرب المدينة المنورة ، قُدْس : جبل بنجد .

٤٢ – الغلائل : جمع غُلالة شِعار يلبس تحت الثوب ، البِرْسُ : القطن .

٤٤ – نِكْس : ضعيف دنيء .

٤٥ – فكأنى أَرَى المراتبَ وَالْقَوْ ...مَ إِذا مَا بلغتُ آخِرَ حِسِّى !

٤٦ – وكَأَنَّ الوفودَ ضاحينَ حَسْرَى مِنْ وُقوفٍ خلفَ الزِّحام وَخُنْسِ !

٤٧ – وكَأَنَّ القِيانَ وَسْطَ المَقَاصِيـ ...رِ يُرَجِّعْنَ بينْ حُوٍّ ولعْسِ !

٤٨ – وكَأَنَّ اللقَّاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمْـ سِ ، وَوَشْكَ الفِرَاقِ أَوَّلُ أَمْسِ !

٤٩ – وكَأَنَّ الذى يُريدُ اتِّبَاعًا طامِعٌ فِى لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ !!

* * *

٥٠ – عُمِرَتْ للسُّرُور دَهْراً فصارتْ
للتعزِّى رِبَاعُهُمْ والتأسِّـــــى

٥١ – فلها أَنْ أُعينَها بِدُمُـــــوعٍ
مُوقَفَاتٍ على الصَّبابةِ حُبْـــسِ

٥٢ – ذاكَ عِندى وَليستِ الدارُدارى
باقترابٍ منها ولا الجِنسُ جِنْسى

٥٣ – غيرَ نُعمَى لأهلِها عندَ أهْلِـى
غرسُوا مِن زكاتِها خيرَ غَـرْسِ

٥٤ – أَيّدوا مُلكنا وشَدُّوا قُــواهُ
بكُماةٍ تحْتَ السَّنَوَّرِ حُمْـــسِ

٥٥ – وأعانوا عَلَى كتائبِ (أرْيا
...طَ) بطعْنٍ على النُّحُورِ ودَعْسِ

٥٦ – وَأرانى - مِنْ بَعْدُ - أكْلَفُ بالأشْـ
...ـرَافِ طُرًّا ، مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأُسِّ

الدراسة اللغوية :

٤٦ – ضاحين : معرضين لحرارة الشمس فى وقت الضحى وهو من بعد الشروق بيسير إلى قبيل الظهر ، حسرى : مكشوفى الرؤوس إجلالا لملك الفرس ، خُنُس مخففة للضرورة الشعرية من خُنَّس بتشديد النون جمع خانس من خَنَس بمعنى انقبض وتأخر من بين أصحابه ، والمراد أنهم متخشعون فى وقوفهم ٠

- القِيان : الجوارى المغنيات ، المقاصير : جمع مقصورة : حجرات القصر ، يُرَجِّعن : يرددن الغناء ، الحُوُّ واللُّعْسُ : كلاهما : السُّمْرة فى الشفة مع الحُمْرة وهى من صفات الجمال المحمودة فى النساء ٠

٤٩ – صُبْحَ خَمْس : بعد سفر أربع ليال بسير الإبل والدخول فى الخامس ٠

٥٠ - التأسّي: من الأسى وهو الحزن ٠
٥١ - الصّبابة : رقة الشوق ، حُبْس : محبوسات ٠
٥٣ - زكائها : نمائها ، كماة : جمع كميّ المستتر بسلاحه أو الشجاع ، السّنَوَّرُ: كل سلاح من حديد ٠
٥٤ - حُمْس : متحمسين ٠
٥٥ - كتائب : جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش ، (أرْياط) قائد حبشى غزا اليمن قبل الإسلام قتله زميله (أبرهة) صاحب الفيل ، النحور : جمع نحر: أعلى الصدر،دعْس : دوْسٌ وطعن ٠

٥٦ - أكْلفُ : من الكَلَف بفتحتين وهو الحب والشغف ، طُرّا : جمعا ، السّنْخ بالكسر : الأصل والأُسّ بالضم : كذلك ٠

ثانيا : التعريف بالشاعر :

هو الوليد بن عُبيد بن يحيى ينتمى نسبه الى قبيلة (طئ) العربية المشهورة وكنيته (أبو عبادة) ونسبته إلى (بُحْتُر) وهى بطن من طَيّ كان أهله ينزلون بناحية (مَنْبج) بين(حَلَب)ونهر الفرات ، وبها ولد البحترى ونشأ وهى بلاد أشبه بالبادية وإن كانت خصيبة ، فهو بدوى النشأة وهذا من أسباب فصاحته ، ثم تحضّر وتثقف حين غَشِى الحواضرَ الشامية والعراقية ، لكنه لم يتعمق فى العلوم العقلية والفلسفية كأستاذه (أبى تمام) تلك العلوم التى شاعت فى عصره ، ومن هنا جاء شعر البحترى سهلا مطبوعا ، رقيق الألفاظ حلو الديباجة آخذا بمجامع القلوب حتى قال عنه النقاد الأقدمون : إنه أشهر من استحق لقب شاعر - بعد أبى نواس -على الإطلاق ، وقال عنه النقاد المحدثون : إنه لم يأت بعده من شعراء العربية من يدانيه فى حُسْنِ نَسْجِ العبارة وجمالِ الأُسلوب حتى وقتنا هذا ٠

وقد تتلمذ البحترى فى شبابه على يد (أبى تمام) الشاعر الكبير - وهو طائى مثله - وصحبه وأفاد من صلته به (أدبيا) حيث كان يعرض عليه شعره ، ويعمل بتوجيهاته حتى تم نضجه و(ماديا) فقد كان أبو تمام ذا جاهٍ وشهرة ، والبحترى ناشئا فأوصى أبو تمام به أقوامًا من معارفه ، فأكرموه واحتفوا به وكانت هذه بداية صلاته بالناس ومازال يتدرج فى مدح الرؤساء حتى وصل إلى الخليفة(المتوكل)عاشر خلفاء بنى العباس فحَظِىَ عنده وقربه المتوكل حتى كان جليسه ونديمه ، ومن سوء حظ البحترى أن قُتل المتوكل فى مؤامرة غادرة وشهد البحترى هذا المصرع الأليم فى مجلس كان هو حاضره وكاد يكون أحد القتلى لولا فراره ، وقد أجاد البحترى فى جميع فنون الشعر ما عدا الهجاء ، وبرع بخاصة فى المدح والنسيب والوصف وله ديوان شعر كبير مطبوع وله كتاب (الحماسة) وهو مختارات من الشعر القديم ، صنعه على غِرار حماسة أستاذه أبى تمام وله كتاب معانى الشعر - وهو مفقود - وقد عُمِّر حتى بلغ الثمانين من عمره ، وتوفى ببلده (مَنْبِج) عام ٢٨٤هـ ٠

<u>ثالثا - الدراسة الأدبية للقصيدة</u>

<u>التحليل التفصيلى لأغراضها وعناصرها :</u>

(١ - ٥) بدأ البحترى قصيدته بالحديث عن نفسه وعفتها وترفعها عن كل ما يشين الكريم ، وعن تماسكه أمام نكبات الدهر ومصائب الزمان ، وَضِمّنُ هذا الحديث شكوى من الدهر وتعجبٌ من حَرْبه الكرام ، ومهادنته اللئام ، وفى الحديث إشارة إلى حالته النفسية الثائرة ٠

(٦ - ١٣) ثَمّ بين عزمه على ترك العراق لما حلّ به من المصائب فيه وأجلّها فقده الخليفة (المتوكل) فجْأة ، وَلِمَا أحسّ

به من تغير الخليفة الجـديد (المنتصر) عليه ، وجفوته له مما زاد فى همه وحزنه فقرر الرحيل عن العراق غير آسف عليه ، وتوجه لزيارة (المدائن) عاصمة الفرس القديمة يلتمس السلوى والعزاء عند آثارها القديمة ، وأجلها (إيوان كسرى) فلعل مشاهدها أن تخفف من آلامه .

(١٤ – ١٧) وَإِذْ وصل عندها أخذ يشيد بعظمة مُلْك الفرس القديم وآثارهم الفخمة ، ويقارن بينها وبين آثار القبائل العربية فى صحراء شبه الجزيرة فيجد بونا بعيدا وفرقا شاسعا ومع أنه عربى أصيل إلا أنه لم يسعْه إلا الاعترافُ بحقيقة تفوُّق الفرس فى هذه الناحية على قومه تمسكا بمبدأ الإنصاف وقول الحق .

(١٨ – ٢١) ولكن الدهر - وهو قُلَّبٌ - لم يترك آثار الفرس القديمة على حالها من البهجة والعمران بل نقل كل ذلك إلى الضدّ فصارت - وقد كساها التراب والإهمال-كالثوب الخَلَق البالى موحشة وحشة القبور ، كئيبة كآبة المأتم .

(٢٢ – ٢٨) ثم نقل لنا صورةً مما رُسِمَ بإتقان على أحد جدر الإيوان وهى عن معركة (أنطاكية) التى دارت بين (الفرس والروم) فى الزمن القديم وانتهت بانتصار الفرس فخلدها الرسام بهذا الرسم الذى أتقنه صاحبه حتى ليُخَيلُ للناظر إليه أنه يَرَى معركة حقيقية .

(٢٩ – ٣٤) ثم أحس الشاعر بالحاجة إلى الهرب من هول هذه المعركة الضارية والحرب الضروس بين عدوين عاتيين فلجأ إلى الخمر يتلقى كئوسها المترعة من يد ابنه (أبى الغوث) فى خِلسة من الجيشين المتحاربين ، فنقلته الخمر إلى عالم آخر يلتقى فيه بملك الفرس ولكن فى مجلس شراب وأُنْس ، فعاش فى

هذا الجو الجديد لحظات كأنها حلم لذيذ ، واصفا هذه الخمر وأثرها فى نفوس شاربيها .

(٣٥ - ٤٤) ثم شرع فى وصف الإيوان وارتفاعه الشاهق ودلالته على عظمة بانيه على الرغم مما أصابه من كآبه ونحْس وعلى الرغم من حرْب الدهر إياه وسلْبه كل ما كان يزخر به من زينة ورياش .

(٤٥ - ٤٩) وأخذ يبعث الحياة فى الإيوان من جديد ، ونَقَل مشاهد حية من مجده السالف كأنها حاضرة ، فهذا مشهد من مجالس (كسرى) الرسمية يتبين منه ما كانت عليه من نظام محكم و (بروتوكول) فى ترتيب الجالسين بحسب أقدارهم ومناصبهم ، وهذا المشهد للوفود التى تنتظر الإذن بالدخول على (شاهنشاه) ملك الملوك من شتى الأمم - وقد اجتمعت فى اليوم المحدد - فى زحامها وخشوعها ، وهذا مشهد من داخل القصر يبين جانبا مما كان يُعَدُّ للملك من مباهج الحياة فى غير أوقات الحكم الرسمية ، فالجوارى المغنيات يردّدن ألحانَهن العذبة وأنغامَهن الساحرة ، ثم ينقل لنا البحترى إحساسا قويا سيطر عليه بأن هذه المشاهد الحية لا يفصل بينها وبينه قرون كما هى الحقيقة وإنما أيام معدودات !!

(٥٠ - ٥٦) ويختم القصيدة بأن هذه الأبيات التى صاغها فيها إن هى إلا دمعات وفاء من الشاعر العربى الرقيق نذرها وأوقفها على كل موقف إنسانى حزين يستحق البكاء ولو على غير قومه وعشيرته ، على أن للفرس المرثيين بالقصيدة معروفا سابقا أسْدَوْهُ للعرب ،وهو مناصرتهم للملك العربى (سيف بن ذى يزن) ملك اليمن على الأحباش الغازين الذين قَدِمَ بهم (أرياط) إلى اليمن فاحتلوها زمنا ـ حيث أعانه الفرس بجيش استردّ به ملكه . هذا الجميل جديرٌ بألا ينسى، على أن الشاعر

(بغض النظر عن كل الاعتبـارات)، مغرمٌ ومعجب بـأهل المجـد والشرف من بنى الإنسان عامة ٠

التذوق الجمالى ـ الأدبى والبلاغى :

أ – أهم(الصور الجزئية): فى البيت (الثانى)صورة للدهر فـى قوته وجبروته يهز الشاعر بعنف محاولا تحطيمه وهـو متماسك صبور ، وفى(الثالث)صورة أخرى لظلم هذا الدهر الذى يحارب الشـاعر فـى رزقـه فيطففـه ليبخسـه وينقص منـه ، وفـى(الرابـع) صورة تمثيلية معـبرة يقـارن الشـاعر فيهـا بيـن حالـه فـى بؤسـه وضيقـه ، وحـال غيـره مـن المـترفين المنعميـن ، وفـى(الثـامن) أحضر لنا صـورة الفَرَس الشـموس الـذى يمنـع الراكـب ظهـره لنفسه الأ بية التى ترفض الذل والهوان ، وفى ١٩ ، ٢٠ صورة القبر والمأتم للتعبير عن الوحشة والكآبه ، وفى ٢١ كناية جميلة تعـبر عـن عظمـة ملوك الفرس ، وفـى ٣٠ صورتـان بديعتـان للخمـر فـى صفاتهـا البـالغ : صـورة النجـم فـى تلألئـه ولمعانـه وصورة قبضة من ضياء الشـمس فـى إشـراقها وبهجتهـا ، وفـى ٣٧ صورتان مؤثرتان غاية التأثير عبر بهمـا عـن كآبـة الإيـوان بعد أن تخيله إنسـانا تعسـا أُزْعِـج بفـراق عزيـز عليـه فجـأة ، أو أُزهِق بتطليق الزوجة المحبوبة على غير رغبة منه ٠ وفى ٣٩ صورة قوية أخرى تجعل هذا الإنسان جلدا صبورا إلـى أقصـى حد على الرغم مما ينوء به من أثقال الدهر ورزاياه ، وفى ٥٣ صورة الغَرْس الطيب المثمر للمعروف ٠٠

الصور الكُلِّية :

رسم البحترى فى قصيدته السينية عدة لوحات كليـة صـور بكل منها معنى عاما من معانيهـا الرئيسـية ، واسـتعان فـى رسـم كل لوحة بعدد من (الصـور الجزئيـة)التـى مـرت بـك آنفـا ، وقـد جاءت هذه اللوحات أو الصور الكلية بديعة متقنة وإليك بيانها :

١ – اللوحة الأولى تصور الشاعر نفسه في عزته وكبريائه وصلابته أمام نكبات الدهر ونوازل الزمن وصبره وتجلده وتجد هذه اللوحة فى الأبيات من ١– ١٠ ٠

٢ – اللوحة الثانية : تصور مُلْك الفرس العريض ومجدهم التليد وبعض مظاهر عزهم الباذخ وعيشهم الناعم فى الزمن القديم وتجد هذه الصورة فى البيتين ١٤ ، ١٥ كما تجد تتمتها فى الأبيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ٠

٣ – اللوحة الثالثة : تصور كآبة الايوان ووحشته بعد زوال دولته فى الأبيات من ١٨ – ٢٠ وتكملة لها فى الأبيات من ٣٧ – ٣٩ ٠

٤ – اللوحة الرابعة : خاصة بتصوير (معركة أنطاكية) بين الروم والفرس بقيادة (كسرى أنوشروان) وقد نقل الشاعر هذه اللوحة من رسمها الموجود على جدار الإيوان إلى لغة الشعر فسامى فنانُنا العربى فنانَ الفرس الرسام فى دقة الوصف وبراعة التصوير لعظمة الجيشين المتلاحمين وعنف العراك وهول الصدام وتصوير موقف كسرى (أنوشروان) فى شجاعته وعظمته وحسن قيادته للجيش الفارسى حتى انتصر وتجدها فى الأبيات من ٢٢ – ٢٨ ٠

٥ – اللوحة الخامسة : عن الشاعر نفسه - مرة أخرى - ولكن معه ابنه فى هذه المرة وهما يشربان الخمر فى ظل الإيوان ولم ينس أن يصور فيها(ابنة الكَرْم)فى صفاتها العجيب وفيما تحدثه فى النفوس من أثر غريب ، وتجدها فى الأبيات من ٢٩ – ٣٤ ولنا تحفظ على هذه اللوحة – إن كانت حقيقية – من جانبين : جانب شرب الخمر

المحرمة وهو فى موقف الاتعاظ والاعتبار ، وجانب سماح الأب لابنه بمشاركته فى هذا الإثم وهو الذى يفترض فيه أن يكون قدوة صالحة له ٠

٦ – اللوحة السادسة : تصور عظمة الإيوان على الرغم مما أصابه من نوب الدهر وتجدها فى الأبيات من ٤٠ – ٤٤ ويكملها بيت سابق هو ٣٥

٧ – اللوحة السابعة والأخيرة : تصور جيشا فارسيا زاخرا بالأبطال يؤيد(عَرَب اليمن)فى حربهم التحريرية ضد الأحباش المعتدين ، وينتصر وينجح فى مهمته الشريفة ولعلك قد لمست بنفسك مدى توفيق البحترى فى رسم هذه اللوحات الجميلة الرائعة ، وأظنك تزداد إعجابا بهذا الرسام الماهر كلما استعدت أبيات كل لوحة على حدة وخصصتها بشئ من التأمل والإمعان ٠

القصيدة فى ميزان النقد

أ – (الوِحْدَة) : تحققت للسينية (الوحدة العضوية) فهى متلاحمة الأجزاء مترابطة العناصر ومع تعدد عناصرها فانها تدور حول موضوع واحد لا تتعداه وهو (إيوان كسرى) وصفه ورثاؤه ، والإشادة بمجد قومه والعبرة من تغير حاله وقد مزج كل ذلك بحالته النفسية وانفعالاته المركّزة العميقة ، فهى بناء متكامل منسق ، ليس فيه عنصر شاذ أو غريب وإلى جانب (وِحدة الموضوع) تحققت لها (الوِحدة الشعورية) التى تتألف من شعور التقدير للعظمة أيا كان محلها ، وللمجد أيا كان قومه وشعور التوجع لمواطن هذه العظمة وذلك المجد عندما

تنزل بها نكبات الدهر وضربات الزمن ، وشعور الوفاء والإعجاب بالفاضلين الكرام من بنى الإنسان عامة ٠

ب - (التجربة الشعرية) : وهى واضحة فى السينية أتم وضوح لأنها صادرة عن انفعالٍ صادق ، وعاطفة حقيقية فى منتهى الاشتعال وغاية التَّوَهُّج ، إذ كانت تعبيرا أمينا عن أزمة نفسية أصيب بها الشاعر نتجتْ عن صدمة عنيفة أصيب بها حين ابتلى فجأة بفقد أعظم وأكرم صديق وأكبر سَنَد له فى الحياة بعد الله تعالى ذلكم هو الخليفة (المتوكل) الذى كرَّم الشاعر واصطفاه ، وقدر شاعريته حق قدرها ومما زاد الأزمة حِدة ، والانفعال قوة أنَّ فقد هذا الخليفة كان بقتله غدرا وغيله فى مصرع أليم ، ومما بلغ بالأمر ذروةَ المأساة وقمةَ الألم أن يشهد البحترى هذا الحادث البشع ويكاد يكون أحد ضحاياه ٠

فجيعة ضخمة عانى منها الشاعر أقسى معاناة وصور أثرها فى نفسه حين رثى المتوكل بقصيدته الرائية المشهورة :

مَحَلٌّ علىَ(القَا طُول)أَخْلَقَ دائِرُهْ
وَعادَتْ صُرُوفُ الدهْرِ جيشًا تُغاوِرُهْ

ولكنَّ جراح نفسه كانت أكبر من أن تشفيها هذه القصيدة فكان يتلمس الفرص للبكاء تنفيسا عما يحسه من لوعة وجَوًى ، وكانت زيارته للإيوان فرصة يسكب فيها الدموع ، ويستفرغ الأحزان ،ويبكى وينوح على أمجادٍ زالتْ وسعادة دالتْ كان له منها نصيب وأىّ نصيب ؟!!

جـ - (اللفظ والأسلوب) : القصيدة تمثل شعر البحتري في حسن اختيار اللفظ وجمال الرصف وجودة السبك وفي سهولة الأسلوب وحلاوته مع تدفقه في يسر وسلاسة وما جاء في القصيدة من ألفاظ لغوية قد تبدو غريبة علينا فإنها كانت مألوفه في عصر الشاعر وعلى أية حال فإنها ليست طاغية على القصيدة ، وأسلوبها مع ذلك بريء من التكلف جار على الطبع السمح والسليقة الطيّعة المواتية وما جاء من المحسنات البديعية من(طباق)كما في البيت (السادس)بين الشراء والبيع و(العاشر) بين الصباح والمساء (والسادس والثلاثين) بين مصبّح وممسّى و(الثالث والأربعين) بين الجن والإنس و(الجناس)في(السابع عشر) بين (عنس) و (عبس) والاقتباس من القرآن الكريم كما في البيت (١٤) من قوله تعالى (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) (١) و(الجناس) كما في البيت ١٧وحسن تعليل كما في ٣١ ، ٣٢ فقد جاء عفو الخاطر غير متعمد ، ولا عجب فالبحتري على رأس (شعراء الطبع) في هذا العصر علىخلاف أستاذه (أبي تمام) الذي كان من زعماء (الصنعة) في الشعر .

د - (المعاني والأفكار) : وقد جاءت معاني البحتري في السينية واضحة قريبة المأخذ لم يشبها غموض ولم يُزْرِ بها تعقيد ولا التواء ،ومما زادها وضوحا وقربا للذهنَ وأخذا بمجامع النفس صدورُها - كما قدمنا - عن عاطفة صادقة ، ومعاناة نفسية حقيقية ، فجاءت حافلة بالمعاني الجيدة والحكمة الرشيدة كما في البيت الخامس والثالث عشر والرابع والأربعين والسادس والخمسين وبالتأثير العميق ، والقيم الخلقية الرفيعة من صبر وإباء ، وعزة وكرامة ترى ذلك في أول القصيدة ومن وفاء وتقدير

---

(١) سورة الملك آية (٤)

للكرام أينما كانوا ومشاركة للإنسانية في آلامها مهما شطت بها الديار واختلفت الأجناس وتناءت الأقطار وتجد ذلك في آخرها ، وقد برئت معاني السينية من الخلل والسخف والإسفاف ، وامتازت بإحكام البدء والختام كما أشرنا في الكلام عن موضع القيم الرفيعة في القصيدة يضاف إلى ذلك أنه بدأها بالحديث عن نفسه وما تتحلى به من كريم الشيم ، حيث قال :

صُنتُ نفْسى عما يُدَنِّسُ نفسى
وترفعتُ عن جَدَا كلِّ جِبْسِ

وختمها كذلك بالحديث عن نفسه ونزعتها الإنسانية المنصفة النادرة :

وَأَرَانِى مِنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بالأَشْـ
ـرَافِ طُرًّا مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وأُسِّ

أضف إلى ذلك أن بَدْأه القصيدة بالمعنى الذى بدأها به يُعَدُّ بَدْءا جديدا متحررا من أوضار التقليد وما جرى عليه عُرْف الشعراء من البدء بالنسيب وما إليه .

هـ - (موسيقا الوزن والقافية) :

وفق البحترى لاختيار (بحر الخفيف) للسينية لمـــــا فى تفعيلاته (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) (مرتين) من طول وامتداد يناسب الشّجَن والرثاء ، كما وفق فى اختيار رَوِيّ (السين) لقافيته ففي السين جَرْسٌ جميل خفيف الوَقع على الأذن ، وفيه خُفُوتٌ وهمس ، فالسين ـ كما يقول علماء التجويد ـ من حروف الهمس التى يجرى فيها النفَسُ ، وهى من الحروف الرقيقة ، وقد زاد من رقتها مجيئُها مكسورة ، وقد أُشبعت بالياء فى أكثر من عشرة أبيات من القصيدة فهى لذلك قافية مناسبة فى موسيقاها لجوّ القصيدة النفسى وعاطفتها الحزينة المشجية .

و – (خاتمة في الحكم على القصيدة) :

يرى بعض النقاد المحدثين كالدكتور (محمد صبرى) صاحب سلسلة الشوامخ فى كتابه (أبو عبادة البحترى) أن هذه القصيدة وقصيدة امرئ القيس (قفانبك) أنهما أجل قصيدتين فى الشعر العربى على الإطلاق علواً نَفَس، وموسيقى، وتصويرا ويقول ناقد قديم هو (ابن المعتز) الشاعر الرقيق :((لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته فى وصف إيوان كسرى ، فليس للعرب سينية مثلُها ، وإلا قصيدته فى وصف بِرْكة المتوكل ، لكان أشعرَ الناس)) .

ونحن نقول : ان السينية بلا شك من أجمل وأروع الشعر العباسى خاصة والعربى عامة ، صياغة وأسلوبا وتصويرا ، أما موضوعها فهو فريد فى بابه ، وتمتاز بنزعتها (الإنسانية العامة) مما يضعها فى عداد (الشعر العَالَمِى) ، ويجعلها جديرة بمكان كريم فى التراث الشعرى الإنسانى الخالد ، ومما هو جدير بالذكر أن شعراء العصر الحديث تأثروا بها وعلى رأسهم أمير الشعراء (أحمد شوقى) حيث عارضها بسينية له فى وصف رحلته إلى بلاد الأندلس ورثاء آثار المسلمين هناك يقول في مطلعها :

اِختلافُ النهارِ والليلِ يُنْسِي
اُذكُرا لِي الصِّبَا وَأيامَ أُنْسِي

جعل فيها (البحترى) قدوتَه وإمامه ، ولعلك أيها الدارس المجد ترجع إلى قصيدة شوقى هذه فى ديوانه (الشوقيات) (1) لترى كيف أفاد شوقى من البحترى وهل بلغ شوطه فى الإجادة حينما حاول اللحاق به والتعلق بغباره ؟! .

---

(1) جـ٢ ص ٤٤ - ٥٤ طبع المكتبة التجارية بالقاهرة .

ثانيا : من النثر :

النص الخامس

من الأدب الاجتماعى

٥ - (وَصْفُ صَدِيقٍ لابْنِ الْمُقَفَّعِ)

—

التعريف بالكاتب :

هو الكاتب البليغ ، والناثر المبدع ، أحد أفذاذ البيان فى الأدب العربى بعامة (أبو محمد عبد الله بن داذويهِ المقفع) ولد عام ١٠٦ هـ ونشأ فى(البصرة) وهو سليل أسرة فارسية ذات يسار ورغد من العيش ، وقد تفتحت عيناه على مجتمع يعج بالعلم والأدب ، وكان أبوه حريصا على تزويده بالعلوم والآداب ، إذ كان عاملا على الخَرَاجِ[1] فى عهد (بنى أميــة) ، ويريد لابنه أن يكون أحسن حظا منه فى وظائف الدولة وَيُعِدُّهُ لذلك ٠

وكان فى عبد الله ذكاء حاد ، وله بديهة حاضرة ،وعقل حصيف ، فأقبل على علماء البصرة وأدبائها يأخذ عنهم ويفيد منهم ويرتشف من بحارهم حتى ارتوى ٠ ولم يتوان فى سبيل تكميل نفسه عن السعى إلى الأعراب فى البوادى القريبة من البصرة يسمع لغتهم ويتزود من فصاحتهم ، كما أفاد كثيرا من مجالسة بنى جنسه من مثقفى الفرس والاطلاع على آدابهم القديمة فجمع بين الثقافتين العربية والفارسية وحاز فضيلة الإتقان والتقدم فى اللغتين ، وكان من حسن حظه أن اتصل بعميد الكتاب وشيخهم على عهد الدولة الأموية وهو (عبدالحميد بن يحيى الكاتب) الذى قيل فيه (بُدِئت الكتابة بعبد الحميد ..) ولازمه مدة

---

[1] الخراج : ما كانت تأخذه الدولة على غلة الأرض.

فتأثر به واقتبس من فنه النثرى الجميل ونهجه الأدبـــى البديـــع ، وكان لكل ذلك أثره فى تكوين شخصية ابـــن المقفـــع الأدبيـــة وبراعته فى الكتابة فعظم شأنه بين الناس وذاع صيته ، وحرص الولاة على استكتابه ، فولى الكتابة (لعمر بن هبيرة) فى عـــهد بنى أمية ، ثم جاء (العهد العباسى) فوليها (لعيسى بن علـــى) والى كرمان من قبل ابن عمه الخليفة (السفاح) ثم وليها لشقيق عيسى (سليمان بن على) والى البصرة ، ولكن لسوء حظ ابـــن المقفع وحظ الأدب ولى البصرة أحد أعدائه وهو (ســـفيان بـــن معاوية) فعزله ثم احتال حتـــى قتلـــه بتشجيـــع مـــن الخليفـــة (المنصور) لأسباب سياسية فى عام ١٤٢ هـ ٠

منزلته فى الكتابة :

ومن حسنات ابن المقفع العظيمة ، ما أسهم به فـــى حركـــة الترجمة إلى العربية التى نهضت فى العصر العباسى وبخاصـــة عن الفارسية واليونانية ــ وقد كلفه (المنصور) بذلك قبـــل أن يغضب عليه ، فنهض بهذا العبء الخطير علـــى خـــير وجـــه ، وكانت ترجماته قمة فى جمال أسلوبها وحسن صياغتـــها ومـــن أشهر مترجماته كتاب (كليلة ودمنة) الشهير وكتاب (التاج فى سيرة كسرى أنوشروان) وكتب أخرى علميـــة منـــها (تحليـــل القياس) لأرسطو و(إيساغوجى) فى المنطق لفرفريوس الصورى ، أما مؤلفاته فمنها (رسالة الصحابة) التى وضعها للمنصـــور كذلك لتكون دستورا للحكم الصالح وسياسة الرعية ومنها (الأدب الصغير) وهو مجموعة حكم صيغت فى عبارات موجزة بليغـــة ،و(الأدب الكبير) وهو أيضا مجموعة من الحكم بسط فيها القول وهو كما قال مؤلفه مقسم الى قســـمين رئيســـين أولـــهما الأدب الخاص بالسلطان وما يجب له وما يجب عليه ، والثـــانى عـــن الصديق وما يطلب منه وله ،وعما ينبغى أن يأخذ الإنســـان بـــه نفسه من الكمالات والفضائل ٠

وفى هذين الكتابين أثر واضح للثقافة الفارسية إذ تراها ممتزجة بالثقافة العربية . وقد كان ابن المقفع على جانب عظيم من مكارم الأخلاق متحليا بأجمل الفضائل والصفات وبخاصة فضيلة الوفاء للإخوان والأخذ بيد الضعيف والمحتاج ، وقد كان ابن المقفع مجوسيا على دين آبائه الفرس ثم أسلم على يد

(عيسى بن على) والى (كِرْمَان) العباسى ويُعَدّ ابن المقفع رأس الطبقة الأولى من الكتاب طُرًّا بعد (عبد الحميد) ، وكانت طريقته تقوم على : الترسُّل وعدم القصد إلى السجع إلا ما جاء عفوا بلا تكلف ، وبالسهولة فى إيراد معانيه ، والقصد إلى الإيجاز مع الوفاء بالمعنى وتحقيق الغرض وتنويع العبارة وحسن الاختيار لعباراته ، وهذا نموذج من كتابته :

النَّصُّ : وَصْفُ صَدِيق

((إنى مُخْبِرُكَ عنْ صاحبٍ كان أعظمَ الناس فى عَيْنِى ، وكان رَأْسُ ما أعظَمَه عندى صِغَرَ الدنيا فى عَيْنِه ، كان خارجا عن سُلْطانِ بَطْنِهِ فلا يشْتَهى مَالا يَجِدُ ، وَلا يُكْثِرُ إذَا وَجَدَ ، وكان خارجًا منَ سُلْطَان فَرْجِهِ فلا يَدْعُو إِليه مَئُونَةً ، وَلا يَسْتَخِفُّ له رَأْيا ولا بَدَنا ، وكان خارجًا من سلطان الجَهالَةِ ، فَلا يُقْدِمُ إلا على ثِقَةٍ أوْ منفعةٍ ، وكانَ أكْثرَ دهْرِهِ صَامِتا ، فإذا قالَ بَذَّ القائلين ، وكانَ يُرَى مُتَضَاعِفًا مُسْتَضْعَفًا فإذَا جَاءَ الجِدُّ فهو الليثُ عَادِيًا ، وكان لا يَدْخُلُ فِى دَعْوَى ولا يشتَرِكُ فِى مِرَاءٍ وَلا يُدْلِى بِحُجَّةٍ حتَّى يَجِدَ قاضِيًا عَدْلاً وَشُهُودًا عُدُولاً ، وكان لا يلومُ أحدًا على مَا قدْ يكونُ العُذْرُ فِى مِثْلِه حتى يَعْلَمَ مَا اعْتِذَارُهُ ؟ وكانَ لا يَشْكُو وَجَعًا إلاَّ إلى مَنْ يَجِدُ عِنْدَهُ البُرْءَ ، وَلاَ يَصْحَبُ إلا مَنْ يرجُو عندهُ النصيحَةَ ، وكانَ لايَتَبَرَّمُ ولا يَتَسَخَّطُ ولا يَتَشَهَّى ، وَلا يَتَشَكَّى ، وَلاَ يَنْتَقِمُ مِنَ المَوْلَى وَلا يغفُلُ عن العَدُوّ ، ولا يَخُصُّ نَفْسَهُ دُونَ إخوانِهِ بشىءٍ من اهْتِمَامِهِ وَحِيلتِهِ وَقُوَّتِه . فعليكَ بِهَذِهِ

الأَخْلَاقِ إِنْ أَطَقْتَ - وَلَنْ تُطِيقَ - ولكنْ أَخْذُ القليلِ خيرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ)) .

الدراسة اللغوية :

(لا يدعو إليه منونة : لا يكترث له ، ولا يطلبه باذلا من أجله الجهد ٠

(لا يستخف له رأيا) : استخفه عن رأيه : حمله على الجهل والخفة ، وأزاله عما كان عليه من الصواب ٠ (الجهالة): المراد بها هنا : الغضب والحماقة والاندفاع فى الشر ٠

(بَذَّ القائلين) : فاقهم وغلبهم ٠

(متضاعِفا) : مظهرا الضعف تواضعا ٠

(الليث عاديا) الأسد صائلا هاجما ٠

(ولا يشترك فى مِرَاء) المِراء : الجدال وزنا ومعنى ٠

(البُرْء) بضم الباء : الشِّفاء ٠

(لا يتبرَّم) : لا يكثر من إظهار السآمة والضجر ٠

(المولى) : الخادم والتابع ٠

تحليل النص :

حدثنا ابن المقفع فى هذه القطعة النثرية عن صديق له حظى بتقديره الكبير ، وإعجابه البالغ حتى صار فى نظره أعظم الناس ولما كانت هذه منزلة شامخة وقمة رفيعة ، لا يبلغها ولا يصل إليها إلا القليل من البشر ، أخذ الكاتب يعدد لنا أسباب استحقاق صديقه لهذه الدرجة ، ويشرح سر هذه العظمة فى عناصر محدده هى :

١ – معرفةُ هذا الصديق بقدر الدنيا وقيمتها الحقيقية ٠

٢ – تحرُّره من سلطان البطن ،ويتمثل ذلك فى صفتين :

أ – القناعة عند القِلّة ٠

ب – وعدم التبذير عند الغنى ٠

٣ – تحرره من سلطان الشهوة بتحكمه فى غريزته الجنسية بحيث لا تجرّه إلى اطّراح العقل ولا إلى الخطأ ومجانبة الصواب والإضرار بالمال والبدن ٠

٤ – تحرُّره من سلطان الجهالة والغضب والاندفاع فى الشر ٠

٥ – تحلّيه بالصمت فى معظم أوقاته ، فما أقبح الثرثرة وما أقرب الثرثار إلى الخطأ والزلل ٠

٦ – لِينُهُ فى مواضع اللين ، وشجاعته فى مواطن الجِدّ ٠

٧ – تَعَقُّلُه ورزانته وحسن وزنه للأمور وتلك هى (الكياسة)

٨ – ضَنُّهُ بنفسه عن مواقف المهانة (حفظه لكرامته)

٩ – عِلْمه بطبيعة البشر فهو قليل اللوم للناس عاذرٌ لهم ٠

١٠ – اتِّصافُهُ بفضيلة الرِّضا وترفُّعه عن الانتقام من الضعيف وعن الشكوى لغير الله إلا لضرورة كشكوى المريض للطبيب ٠

١١ – يقظته وعدم غفلته عن عَدُوِّه ٠

١٢ - إشراكُهُ إخوانَهُ في كلّ خير ينالُهُ باجتهاده وَبُعْدُهُ عن الأثَرَةِ والأنانية .

مواطن الجمال :

أ - في اللفظ والأسلوب : ألفاظ القطعة سهلة التناول رشيقة جذابة قد أجاد الكاتب انتقاءَها ووضعها في مواضعها الملائمة لها ، وذلك بالإضافة إلى فصاحتها وقوتها وأسلوب الكاتب - كما ترى - مُرْسَلٌ متحرر من السجع جارٍ على الطبع الصافي البريء من تكلف المحسنات وأَوْزارِ البديع ، وهو أسلوب متين العبارة ، مشرق الديباجة ذو رونق وبهاء ، ولا يخفى عليك ما فيه من جمال الصياغة .

ب - في المعاني والأفكار :

معاني القطعة تمتاز بالوضوح وبالترابط وبالتسلسل وفيها عناية بالاستدلال والبرهنة ، فالكاتب يسوق الحُكْمَ (بعظمة الصديق مثلا) ويتبعه بمبرراته وحيثياته ،ويجعل الحديث عن أمر ، ويعقّب عليه بالتفصيل والتجلية والتفسير ، وهو بهذا يوفي الموضوع حقه ، ويبسط فيه القول حتى يجعله واضحا كالنهار ساطعا كالشمس - تاما لا زيادة فيه لمستزيد .

ج - في التصوير الجزئي والكلي :

١ - صور كلًّا من البطن والفرج في صورة سلطان مستبدّ لو لم يتحرر منه الإنسان استعبده وأفسد عليه حياته وكذلك صور الحُمْق وهو تصوير قوى موفق .

٢ - أثبت للصديق صفتين متضادتين لكل منهما وقت وموضع وقد نشأت من تحققهما فيه صورة رائعة تجمع بين وقار هذا الصديق ورزانتِهِ،وتواضُعِهِ وحُسْنِ سَمْتِهِ،

وبين علمه وفضله ومقدرته وتفوقه ٠

٣ – كنى كناية لطيفة عن يقظة الصديق بنفى الغفلة عنه ٠

٤ – الصورة الكلية العامة لهذا الصديق (المثالى) من أجمع وأروع وأجمل ما يتخيله المَرْءُ فى إنسان ليحوز فضيلة الكمال البشرى ٠ فما بالك وقد أخبرنا الكاتب أنها كانت متحققة فِعْلاً فى صديقه ، وما كان له أن يسوقها بهذه العاطفة التى نحس صدقها إلا وقد لمسها بنفسه فيه ٠

٥ – من محاسن النص أن الكاتب وجه فى نهايته إلى الهدف الذى من أجله أورد هذه الصفات لهذا الصديق ألا وهو الاقتداء والتأسِّى بها أو على الأقل ببعضها ٠

٦ – ثم يتلطف فيختم النص بتلك الحكمة الجميلة النافعة :

((أَخْذُ القَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيع)) أو كما قيل :

((مَالَا يُدْرَكُ كُلُّهُ ، لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ)) ٠

النصّ السّادس

٦ - من الرّسائل الدّيوانيّة : رسَالةُ (عَمْرو بْن مَسْعدة) إلى (نصْر بْنِ شَبَث) الخارجِ علَى الدّولة ٠ (★)

على لسان الخليفة (المأمون) حين قويت شوكة (نصْر) وهزم جيوش الخلافة ((أمّا بعْدُ فإنكَ يانصْرُ بْنَ شَبَثٍ قدْ عرَفْتَ الطاعةَ وعِزَّها ،وبرْدَ ظِلِّها وطيب مرْتعِها ، ومَا فِي خِلافِها مِنَ النّدمِ والخسارَةِ ، وإنْ طالتْ مدةُ اللّهِ بكَ ، فإنّهُ إنّما يُمْلِي لِمَنْ يلتمِسُ مُظاهرَةَ الحُجّةِ عليْهِ لتقعَ غِيَرُهُ بأهْلِها علَى قدْر إصْرارِهِمْ واسْتِحْقاقِهِمْ ، وقد رَأيْتُ إذْ كارَكَ وتبْصيرَكَ لمَا رَجَوْتُ أنْ يكونَ لِمَا أكتُبُ بهِ إليكَ موْقعٌ مِنك فإنّ الصّدقَ صِدْقٌ والبَاطِلَ بَاطِلٌ ، وإنّما القولُ بمَخارِجِهِ وأهْلِهِ الذينَ يُعْنَوْنَ بهِ ، ولمْ يُعامِلْكَ مِنْ عُمّالِ أميرِ المؤمنينَ أحَدٌ أنفعُ لكَ مِنّي فِي مَالكَ ودينكَ ونفْسك،ولاَ أحْرَصَ على إنْقاذِكَ والانْتِياشِ لكَ مِنْ خَطَئِكَ مِنّي ٠ فَبأيِّ أوّلٍ أوْ آخِرٍ أوْ سُلْطةٍ أو إمْرَةٍ إقْدامُكَ يانصْرُ علَى أميرِ المؤمنينَ تأْخذُ أمْوالَهُ وتتولّى دونَهُ مَاوَلاّهُ اللّهُ وتُريدُ أنْ تَبيتَ آمنًا مطْمئنا ، أوْ وَادعًا ساكنا أوْ هَادِئًا ؟ فَوَعَالِمِ السِّرِّ والجَهْرِ لَئِنْ لمْ تكنْ للطاعةِ مُرَاجِعًا ، وَبها خَانِعًا لتسْتَوْبِلَنَّ وَخَمَ العَاقِبَةِ ثم لأبْدَأنّ بكَ قَبْلَ كُلِّ عَمَلٍ ، فَإنَّ قُرُونَ الشَّيْطَانِ إذا لمْ تُقْطَعْ كانتْ فِتْنَةً فِي الأرْضِ وَفَسَاداً كبيرًا أمَا لأطَأنّ بِمَنْ مَعِي مِنْ أنصَارِ الدّولةِ كَوَاهِلَ رِعَاعِ أصْحَابِكَ وَمَنْ تَأشّبَ إليْكَ مِنْ أداني البُلْدانِ ، وَأقَاصِيها ، وَأوْبَاشِهَا ومَنْ انْضَوى إلَى حَوْزَتِكَ مِنْ خُرّابِ النّاسِ وَمَنْ لَفِظَهُ بَلَدُهُ ونفتْهُ عَشيرَتُهُ لِسُوءِ مَوْضِعِهِ فيهمْ وقد أعْذَرَ مَنْ أنْذَرَ وَالسّلاَم)) ٠

(★) المنتخب من أدب العرب : طه حسين وآخرون جـ٤

<u>التعريف بالكاتب :</u>

هو عمرو بن مسعدة وزير المأمون وكان قد نشأ كاتبا فى ديوان الرسائل أيام الرشيد ونبغ فى الكتابة وأخذ يترقى فى المناصب حتى وصل إلى الوزارة وهو أبلغ كتاب الإيجاز فى العصر العباسى الأول وممن تأثر بطريقة (ابن المقفع)٠

<u>مناسبة الرسالة :</u>

خرج (نصر بن شبث) على المأمون وتحصن فى قلعة (يكسُوم) قربَ (حلب) ثم أرسل إليه (عمرو بن مسعدة) هذا الكتاب يدعوه لطاعة الخليفة وانتهى الأمر بإذعانه للمأمون بعد أن أمَّنه ٠

<u>الدراسة اللغوية :</u>

بَرْد ظلها : راحتها ، طِيب مرتعها : المراد رَغَد عيشها ، طالتْ مدة الله بك : طال أمهال الله لك ، يُمْلى : يؤخر ، مظاهرة الحجة : وضوح البرهان، الغِيَرُ : التغير من حالة سارة إلى أخرى سيئة ، الانتياش من انتاشه إذا أنقذه ، الخِنوع : الاستسلام والخضوع ، قرون الشيطان : المراد الفتنة ، لَتَسْتَوبِلَنَّ وَخَمَ العاقبة : لتجدنَّ العاقبة وَبيلة وَخيمة ، لأَطَأنَّ : لأدوسن ، الرعاع : الأوباش من عامة الناس ، تأشَّب : لاذ ولجأ ، انضوى : انضم ، خُرَّاب الناس : أصحاب الخراب والتدمير ، لَفِظَهُ بَلَدُهُ : أخرجه مكروها ٠

<u>تحليل الرسالة :</u>

١- بدأها بتذكيره بأيام طاعته للخليفة ، وما كان فيها من عز وكرامة، وقارن ذلك بأيام العصيان ،وما فيها من ندم وخسارة ٠

٢ – حذره من الاغترار بطول مدة عصيانة فإنه إِمْلاءٌ من الله تعالى يأتي بعده العقاب .

٣ ـ أخذ يبذل له النصح راجيا أن يكون له أثر في نفس (نصْر) لوضوح الحق .

٤ ـ بيّن له أنه أحرص الناس على نجاته وإنقاذه مما تورط فيه .

٥ ـ أخذ يَتَهَدَّدُهُ إِنْ لمْ يَرْجِعْ بسوءِ العاقبةِ وقبْحِ المصير .

٦ ـ أَكَّد أَنَّ جيوش الخليفة ستحيط به عما قريب وتنكِّل بإتباعه الذين ماهم الا أوغاد الناس وسفلتهم .

٧ ـ لاعُذْرَ (لنصر) بعد هذا الإِنذار إِنْ لم يبادر إلى الطاعة .

(التصوير والخيال) صور أثر الطاعة في راحة النفس (وهو أمر معنوى) بصورة(حِسِّية)هي استمتاع الإنسان بالظل البارد فى وقت الصيف وكذلك التصوير بطيب المرتع الذى هو في الأصل للدابة التي تصادف المرعى الخصيب فترتع،وصَوَّرَ الفتنةِ ومظاهرها البغيضة في صورةِ الشيطان وهى مُتَخَيَّلَةٌ لكنها متعارفة فى أفهام الناس وهى صورة واقعة موقعها ، وفي تصوير سوء العاقبة جاء قوله (لتستوْبِلَنَّ وَخَم العاقبة) وهى صورة قوية مأخوذة من رَعْيِ الماشيةِ في مرعًى خبيث وبعد رعْيها فيه تُصابُ بِالْمَرَضِ والإعياء أو الموْت وربما كان طعمه فى فمها أوَّلاً مستساغا ، (فنصْرُ) كذلك ربما استحلى أيام العصيان وانقياد الأمور له لكن العبرة بالنتيجة والخواتيم وفى قوله : (مَنْ لفِظَتْهُ بَلَدُهُ) تصويرٌ عَنْ حولَ(نصْر)بأنهم قومٌ منْبوذون مكر وهُون حتى مِنْ أهلِهِمْ ومَوَاطِنِهِمْ .

(التعليق والنقد) :

١ - تنطق الرسالة بما كان للدولة من سلطان قاهر حينئذ فالمأمون من خلفاء العهد الأول عهد عظمة الخلافة وقوة الخلفاء ([1]).

٢ - وُفِّقَ الكاتب فى جمعه بين اللين والشدة، ومخاطبة العقل تارة والعاطفة أخرى، حتى وصل إلى هدفه .

٣ - جرت الرسالة على أُسلوبِ (ابن المقفع) أسلوبِ اا العباسيّ الأول

ذِى التَّرَسُّلِ والإِيجَازِ، والعنايةِ بمعالجةِ المعانى بعيدًا عن صِناعةِ الألفاظ .

([1]) وخلفاء ذلك العصر عشر : أولهم (السفاح) وآخرهم (المتوكل) .

القِسْمُ الثَّانِى

نصوصٌ مِنَ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ الثَّانِى

٣٣٤ هـ - ٦٥٦ هـ

٩٤٥ م - ١٢٥٨ م

أولاً من الشعر

٧ - النصّ السّابع
فِى الفَخْرِ : لِلشَّرِيفِ الرَّضِىِّ (*)

(التعريفُ بالشاعر)

أ - نَسَبُه :

هو أبو الحسن محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ موسى (الكاظِم) بنِ جعْفرَ (الصَّادق) بنِ محمدِ (الباقِرِ) بنِ علىٍّ (زينِ العابدين) بن الحسينِ (السِّبْطِ) (١) بن علىِّ بن أبى طالبٍ (أميرِ المؤمنين) كرَّمَ اللهُ وجْهَهُ ورَضِىَ عنهمْ - وأُمّهُ شريفةٌ حسينيةٌ (٢) كذلك .

ب - مولده ونشأته :

ولد شاعرنا فى (بغداد) فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة من الهجرة (٣٥٩ هـ) الموافق لـ ٩٦٩ م واشتغل بالعلم ففاق أهل زمانه فى الفقه والبلاغة والأدب .

(*) نسوق هنا جزءا من قصيدة له طويله يفخر فيها بنفسه وبآل البيت النبوى وراجع الجزء الأول من ديوانه من صفحة ٨٥ - ٨٩ طبع بيروت عام ١٣٠٩هـ .

(١) السبط : الحفيد والحسين بن على حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها .

(٢) أى من نسل الحسين بن على فأبَوا الشّريف أولادُ عمومة .

جـ مكانته الاجتماعية :

قال عنه (الثعالبى) صاحب كتاب يتيمة الدهر) : " هو اليوم أبـرع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر ، وفضل ، باهر وحظ من جميع المحامد وافر ـ تولى نقابه الأشراف الطالبيين بعد أبيه فى حياته(سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة هجرية)وعمره تسع وعشرون سنة ، وضمت إليه معها سائر الأعمال التى كان يليها أبوه وهى النظر فى المظالم والحج بالناس •

د – منزلته الأدبية والعلمية :

هو من أعلام الشعر المقدمين فى العصر العباسى بعامة والعصر العباسى الثانى بخاصة وقد بدأ قول الشعر بعد أن جاوز سن العاشرة بقليل وبلغ فيه بعد ذلك شأواً عظيما فى الروعة والإبداع قال فيه الناقد الكبير (صاحب اليتيمة) (١) " هو أشعر الطالبيين (٢) على كثرة شعرائهم المُفْلِقِين ولو قلتُ إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق " •

ونقل الأستاذ الإمام الشيخ (محمد عبده) فى مقدمته لشرح كتاب الشريف الرضى (نهج البلاغة)(*) قول بعض واصفى شعره :" كان شاعرا مفلقا (٣) فصيح النظم ضخم الألفاظ قادرا على القريض ، متصرفا فى فنونه .. أتى فى النسيب الرقيق بالعجب العجاب ، وفى المدح الجزل بما لا يُشَقّ له فيه غبار

---

(١) هو أبو منصور الثعالبى الإمام فى اللغة والأدب صاحب كتاب (يتيمة الدهر فى محاسن شعراء أهل العصر) ترجم فيه لشعراء المائة الرابعة الهجرية وتوفى عام ٤٢٩ هـ

(٢) أبناء على بن أبى طالب •

(*) راجع كتاب نهج البلاغة بتحقيق الأستاذ الشيخ (محمد محى عبدالحميد) ط • المكتب التجارى ب • ت

(٣) الشاعر المفلق • الذى يأتى بالعجيب الرائع •

وفى الرثاء والشكوى بما فاق به أهل زمانه ، وكان مع هذا فى النثر كاتبا مترسلا بليغا متين العبارات سامى المعانى ...."

وقال عنه أصحاب كتاب (المفصل فى تاريخ الأدب العربى) ([1]) :

" يُحْسَبُ شعر الشريف الرضى من أمتع الشعر العربى وأجزله وأجمعه للمعانى النفسية والفلسفية وصور النفوس المفكرة ، ونقد الاجتماع وشكوى الزمان والأيام ، وقصائده الطويلة الكثيرة مملوءة بالتأمل فى الحياة وشرح أسرار النفوس وبالحكم والعبر التى استفادها من تجاربه وقراءته لشعر الأقدمين معبرا بها عما فى نفسه من عزة وإباء وفخر بقومه وتمدح بالفضيلة والمكارم وقد جُمع شعره فى ديوان كبير يبلغ أربعة مجلدات – أما فى (الناحية العلمية) فله مؤلفات قيمة منها كتاب فى بلاغة القرآن الكريم قال عنه صاحب (اليتيمة) يتعذر وجود مثله " وله كتاب (المجازات النبوية) وهو كتاب نفيس مطبوع ، وكتاب (نهج البلاغة) وهو مجموع ما اختاره (الشريف الرضى) من كلام جده الإمام (علىّ) كرم الله وجهه وهو مطبوع بشرح الإمام (محمد عبده) وتحقيق أستاذنا (محيى الدين عبدالحميد) وهو من أجل الكتب الأدبية وأنفعها لطالب العلم والأدب .

(صفاته وأخلاقه) :

كان رحمه الله ـ كما كتب الإستاذ الإمام ـ عفيفا متشددا فى العفة بالغا فيها إلى النهاية لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة من أمراء ووزراء عصره،وكثيرٌ منهم كانوا من أصدقائه وأحبّائه وقد اجتهد بعضهم فى ذلك فلم يقبل منهم ، وكان يكتفى بإكرامهم وإجلالهم لشخصه وصيانة جانبه وإعزازه وتقديره .

([1]) هم الاساتذه (أحمد الاسكندرى) وأحمد أمين و على الجارم) وعبدالعزيز البشرى) و(أحمد ضيف) وراجع المفصل جـ ١ ، ٢ مطبعة مصر ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م .

و ـ (وفاته) :

توفى رحمه الله فى شهر المحرم من عام ستة وأربعمائة من الهجرة ٤٠٦هـ ببغداد عن سبع وأربعين سنه ودفن فى داره بمسجد الأنباريين (بالكرخ) ([1]) ٠

وجزع عليه الناس وبخاصة مُحِبُّوهُ وَعَارِفو فَضْلِهِ وعلى رأسهم أخوه الفقيه العالم الأديب (الشريف المرتضى) والوزير (فخر الملك أبو غالب) جزعا شديدا ،ورثاه كثير من الشعراء ومنهم أخوه (المرتضى) ومن رثائه فيه قوله :

يَالَلرِّجَالِ لِفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يَدِى

وَوَدِدْتُ لَوْ ذَهَبَتْ عَلَىَّ بِرَاسِى ....

لِلَّهِ عُمْرُكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِـرٍ

وَلَرُبَّ عُمْرٍ طَـالَ بِالأَدْنَاسِ !!

([1]) محلة ببغداد ٠

النص

١ - لِغَيْرِ العُلاَ مِنِّي القِلَى وَالتَّجَنُّبُ
وَلَوْلاَ العُلاَ مَا كُنتُ فِي الحُبِّ أَرْغَبُ (١)

٢ - إِذَا اللهُ لَمْ يَعْذِرْكَ فِيمَا تَرُومُهُ
فَمَا النَّاسُ إِلاَّ عَاذِلٌ وَمُــؤَنِّبُ

٣ - مَلَكْتُ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا اسْتَرَقَّهَا
مِنَ الدَّهْرِ مَفْتُولُ الذِّرَاعَيْنِ أَغْلَبُ (٢)

٤ - فَإِنْ تَكُ سِنِّي مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا
فَلِي مِنْ وَرَاءِ المَجْدِ قَلْبٌ مُذَرَّبُ (٣)

الدراسة اللغوية :(*)

(١) القلى : البغض والكراهة والهجر، أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب

(٢) عذره : قبل عذره ، ترومه : تطلبه والعاذل : اللائم ، المؤنب : من التأنيب وهو التوبيخ والتعنيف

(٣) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يَغْلب خصمه . أى أننى أنال بالحلم مالا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .

(*) راجع ديوان الشريف الرضى بتصحيح محمد بن سليم اللبابيدى ط المطبعة الأدبية فى (بيروت) عام ١٣٦٠ هـ ١٨٨٨ م

٥ - فَحَسْبِيَ أَنِّي فِي الأَعَادِي مُبَغَّضٌ

وَأَنِّيَ إِلَى غُرِّ المَعَالِي مُحَبَّبُ (٥)

٦ - وللحِلْمِ أَوقاتٌ ، وللجَهْلِ مِثْلُهَا

وَلَكِنَّ أَيَّامِي إِلَى الحِلْمِ أَقْرَبُ (٦)

٧ - يَصُولُ عَلَيَّ الجَاهلونَ ، وَأَعْتَلِي

وَيُعْجِمُ فِيَّ القائلونَ ، وَأُعْرِبُ (٧)

٨ - يَرَوْنَ احْتمالِي غُصَّةً ، وَيَزِيدُهُمْ

لَوَاعِجَ ضِغْنٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ (٨)

٩ - وَأُعْرِضُ عنْ كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنَّهَا

وَمِيضُ غَمَامٍ غَائِرُ المُزْنِ خُلَّبُ (٩)

١٠ - وَقُورٌ ، فَلَا الأَلْحَانُ تَأْسِرُ عَزْمَتِي

وَلَا تَمْكُرُ الصَّهْبَاءُ بِي حِينَ أَشْرَبُ (١٠)

---

(٤) المذرب : المحدد الماضى . (ما تطاول باعها) : البـاع معروف وهو قدر مد اليدين وفى العبارة كناية عن صغر سنه

(٥) حسبى : كفانى ، غر : الأغر الأبيض وأصله البياض فى جبهته الفرس غير الأبيض .

(٦) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام ، والحجا : العقل الراجح

(٧) يصول عليّ الجاهلون : من الصيال وهو الهجوم ، والجاهلون هنا هم الحمقى الذين لا عقل لهم ، والإعجام : ضد الإبانة ، أى أن أولئك الحمقى كلما هاجمونى ارتفع قدرى ، وهم يقولون عنى كلاما كأنه لسخفه معجم غير مبين ولكننى أعرب وأبين بقولى الواضح وعملى الصالح .

(٨) ، (٩) ، (١٠) ←

١١- وَلاَ أَعْرِفُ الفَحْشاءَ إِلاَّ بِوَصْفِهاَ
وَلاَ أَنْطِقُ العَوْرَاءَ وَالقلبُ مُغْضَبُ !

١٢ - تَحَلَّمَ عن كَرِّ القَوَارِصِ شِيَمتِى
كَأَنَّ مُعِيدَ الذَّمِّ بِالمَدْحِ مُطْنِبُ (١) !

١٣ - لِسَانِى حَصَاةٌ يَقْرَعُ الجَهْلَ بِالحِجاَ
إِذَا نَالَ مِنِّى الْعَاضِهُ الْمُتَوَثِّبُ (٢)

١٤ - ولَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عَزَائِمى
فُضَالاَتُ مَا يُعْطِى الزَّمانُ وَيَسْلُبُ

١٥ - غَرَائِبُ آدابٍ حَبَانِى بِحِفْظِهاَ
زَمَانِي ، وَصَرْفُ الدَّهْرِ نِعْمَ المُؤدِّبُ

---

(١) الفحشاء ، مؤنث الفاحش : وهـو القبيـح الشنيع من قول أو فعل.

والعوراء هنا : الكلمة القبيحة .

---

(٨) الغصة ، ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب ، واللواعـج : جمع لاعـج وهو الحار المحرق والضغـن : الحقـد وشـدة البغـض أى إن تركـى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم .

(٩) النديم : الصاحب على الشراب ، والوميض : لمعـان البـرق ، والمـزن الغـائر: السحاب الذاهب ، الخلب الخادع ، وهو صفة للوميض

(١٠) وَقُورٌ : من الوقار ، وهو الرزانة ، الصهباء : الخمر .

(١٢) تحلم أصلها تتحلم ، حذفت إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة ٠ والشيمة : السَّجية والخصلة ، أى أن كريم طبعى يأبى علىّ إلا أن أقابل تكرار ذمِّى بالحِلم ، حتى كأن مكرّر ذمّىّ يطيل فى مدحى ٠

(١٣) الحَصَاة هنا : العقل ٠ والجهل : الحمق ٠ والعَاضِهُ : الذى يكذب على المرء فى وجهه ٠ أى أننى اذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب فى وجهى لم أقابله بالمِثْل ، ولم أبسط فيه لسانى ، بل أحْلُمُ عليه وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم ٠

(١٤) الفُضَالات فى الأصل : البقايا ٠ ويريد بها هنا : الملاذّ الدنيويه ٠ أى أنها لا تَثْنِينى عن معالى الأمور ، فلا يَحْزُنُنى ما أفقده من هذه الملاذّ ، ولا يسرّنى ما أناله منها ٠

(١٥) صَرْفُ الدهر : نوائبُهُ وحوادثه ٠ وحَبَانى : مَنَحَنِى وأكرمنى ٠

ب - تحليل الأبيات وبيان أَغراضها وعناصرها :

ساق الشاعر فى الأبيات الصفات التى يتحلى بها والتى هى مناط فخره وشرفه:-

١- وأولها عشقه المجد والعلا وأنه زاهد فيما سواها ٠

٢ - قوة صلته بالله عز وجل وتعويله على رضاه فيما يطمح إليه من الأمور ، وعدم مبالاته بمواقف الناس بعد ذلك ٠

٣ - تفوّقه بالحلم ،وامتلاكه به مالا يقدر عليه الأقوياء ٠

٤ - نُضْجُهُ العقلى والعاطفى على الرغم من صغر سنه ٠

٥ - أنه محبوب من المعالى فهى تبادله حبا بحب ، ويكفيه هذا الشرف وإنْ أبغضه الأعداء الحاقدون المتحاملون ٠

٦ - اتِّصافُهُ بالشدة فى الأوقات التى تتطلبها وبالحلم فى الأوقات المناسبة له ولكن الغلبة فى أخلاقه وأيامه للحلم .

٧ - تعرُّضُهُ لهجوم الجهلة من أعدائه لا يزيده إلا رفعة وشتان بين أساليبهم الملتوية وأسلوبه الواضح الصريح .

٨ - لديْه القدرةُ على التحكم فى غضبه ، وهى فضيلة لا ينالها إلا القليل .

٩ ، ١٠ هو مُعْرِضٌ عن الخمر والغناء مع تَفَشّيهِمَا فى عصره وقورٌ لا تستخفه الألحان ، رَزِينٌ لا تلعب الخمر برأسه لو أنه شربها (على سبيل الفرض)

١١ - طهارتُهُ وتنزُّهُهُ عن الفحشاء قولاً وفعلا .

١٢ - زيادةُ حِلمه مع زيادة الإساءة إليه .

١٣ - عِفَّةُ لسانه وغَلَبَةُ عقْلِهِ على هواه

١٤ - تَنَزُّهه وسُمُوُّ عزيمتِهِ على الشهواتِ والمطامِع .

١٥ - تَفَرُّدُهُ بنوادر الأخلاق مما أفادتْهُ الأيام والمِحَن .

جـ - اللفظ والأسلوب :

نلاحظ على ألفاظ الشريف القوة والفخامة والجزالة مع العذوبة وقد كرر بعض الألفاظ لأهميتها فى غرض القصيدة وهو (الفخر) مثل كلمة (العلا) فى البيت الأول ، وكلمة (الحلم) فى الأبيات (الثالث والسادس والثانى عشر) أما المحسنات البديعية فقد اقتصد الشاعر فى استعمالها إذْ لم يأت منها إلا (بالطباق) وذلك فى مواضع : بين (مُبَغَّض ومُحَبَّب) فى البيت الخامس وبين (الحلم والجهل) فى السادس وبين (الإعجام والإعراب) فى السابع وبين (الذم والمدح) فى الثانى

عشر ، وبين (الجهل والحجا) فى الثالث عشر وبين (يُعْطِى ويَسْلُبُ) فى الرابع عشر .

د – فى المعانى والأفكار :

جاءت معانى (الشريف) فى هذه الأبيات متماسكة تماسكا قويا فهى تدور حول(مكارم الأخلاق)التى يتصف بها الشاعر ، ويفخر بها على أعدائه ، فأثبت من الصفات ما به الشرفُ والكرامة ، ونفى منها ما فيه الضعةُ والهوان ،ويصف حاله مع أعدائه فيذْ مَغُهم بالفقر الخلقىّ وبالعِىّ والحقد والضِّغن لأمثاله من الماجدين ، ويهوّن من شأنهم ويترفع عليهم ، ويصف سوء موقفهم إذْ بكمالاته هَزَمهم وانتصر عليهم ، ولم ينس فى النهاية أنْ يعترف للدهر وحوادثه - وإن كانت أليمة - بالفضل إذْ كانت سببا فى إنْضَاجِ شخصيته وفوزه بهذه الخِصال الرائعة .

فالأبيات ذات وِحْدَةٍ فكرية معنوية كما ترى ولقد تحققت فيها (الوحدة الموضوعية) من جهة غرضها وموضوعها وهو (الفخر) فليس فيها تفكّكٌ ولا تشتّت ولا اضطراب .

ولا خروج على الغرض الأصلى أو الموضوع المستهدف .

و – <u>التصوير ومواطن الجمال</u> :

١ – تقديم الخبر – فى الشطر الأول من البيت الأول – على المبتدأ (والخبر هنا جار ومجرور) ، مع كون المجرور من أدوات الاستثناء (غير) ، واستعمال (لولا) فى الشطر الثانى : كلاهما أفاد تأكيدا قويا قاطعا على تعلق الشاعر بالعُلاوشَغفِهِ بالمجد ليْسَ غَيْرُ ، وقَصْرِهِ حُبَّه عليهما ، وَطَرْحِهِ ما عداها (¹) فخَدَمَ المعنى وأكْسَبَهُ جمالا فى العبارة .

٢ – استعمال الشاعر أسلوبَ الشرطِ فى البيت الثانى مع كونِ جوابِ الشرطِ جاء على صورة القَصْر (بما وإلا) أدّى المعنى الموضّح فيما سبق - أداءً بديعا .

٣ – صور فى البيت الثالث حيازَتَهُ - بالحلم - فُرْصَةَ النجاح فى الحياة وهى أمرٌ معنوى فى صورة امتلاك شىْءٍ حِسّىّ ثمين لا يقدر على حيازته الرجلُ القوىُّ المصارع وهى صورة فريدة .

٤ – فى البيت الرابع كنايةٌ عن صِغَرِ السّن بِقِصَرِ الباع – وهو قدر مد اليدين - وهى كناية لطيفة معبّرة . بَنَى عليها معنى جليلا هو أنّ هِمته أكبرُ مِنْ سِنّه .

٥ – فى البيت الخامس صور المعالى فى صورة إنسان عاقل يُحِبُّ ويصطفى كرامَ الناس الجديرين بحبّه على سبيل الاستعارة المكنية .

(¹) العلا والمجد : بمعنى واحد .

٦ – وفى البيت(السادس)توازنٌ فى الشطر الأول بين الحِلْم وضدّه قد يبدو مقبولا ، أعقبه بترجيح للحلم فى الشطر الثانى (هو الذى يليق بمكانة الشاعر) وكان به موفقا .

٧ – وفى البيت(الثامن) شبه نفسه بالغُصَّة فىحلوق أعدائه ليدلَّ على مدى كراهيتهم الظالمةِ له ، كما صور حقدهم فى صورة النار الحارة المحرقة لأكبادهم .

٨ – (وفى البيت التاسع) صور كأسَ الخمرِ ـ وقد أعرض عنها ـ وهى تلمع فى يد النديم ، لأنها مصنوعة من زجاج نقىّ شفاف فى صورة وميضِ بَرْقٍ خُلَّبٍ خادع لاخيرَ يُرْجَى من ورائه لأن سحابَهُ غائرٌ لا مطرَ فيه ، وهى صورة طريفة لا أظن أنه سُبِقَ بها .

٩ – فى البيت(العاشر) استدلالٌ وتصويرٌ ، فقد استدل على (وقارِهِ) الذى أثبته لنفسه صراحة بأمرين : أولهما أن الألحان مهما عَذُبتْ وحَسُنَتْ لاتستولى عليه ولا تصرفه عن معالى الأمور ، وثانيهما أن الخمر لا تذهب بعقله لو أنه شربها ـ على سبيل الفرض ([1]) .

وفى كل من الدليلين صورة بلاغية استعارية جميلة : (الأولى) شبه فيها فِعْل الألحان الجميلة فى النفوس واستيلاءها على السامعين بالأسْر ، و(الثانية) شبه فيها فعل الخمر فى الشاربين ، وتغييبها لعقولهم بالمكر السَّيئ ـ وهما صورتان بديعتان .

١٠ – فى البيت(الحادى عشر) ـ فى شطره الأول ـ استثناء جميل ، فبعد أن نفى عن نفسه معرفة الفحشاء قال :(إلا بوصفها) ـ لأن عدم معرفتها على الإطلاق عَيْبٌ فى الإنسان ، ولونٌ

([1]) لأنه أثبت فى البيت سابق إعراضه عنها ، ونفى عنها كل خير

من الجهل ، فجاء الاستثناء فى موضعه ليزيل هذا التوهم ـ فضلا عما فى التعبير كله من (الكِناية) عن طهارته وبعده الشديد عن مقارفة المنكرات ، وَعِفَّة لسانِهِ وَطَهَارَتِهِ كذلك .

(فى الشطر الثانى) جاءت الجملة الحالية (والقلبُ مُغْضَبٌ) مناسبة كل المناسبة لتكمل المعنى ، وتبين أن عدم نطقه بالكلمة العوراء ثابت حتى فى حالة غضبه ، وهو أمر عظيم وليس بالهيِّن لأن امتلاكَ المرءِ نفسَه ولسانَه فى هذه الحال من الصعوبة بمكان، فما بَالك بالأحوال التى لا يكون فيها غضبانَ القلب ؟ إنه يكونُ كذلك مِنْ باب أولى .

(وفى البيت الثانى عشر) شَبَّهَ موقفَهُ مِنْ ذَمِّ القادِح الْمُكَرِّرِ لقدْحِهِ ، بمَوْقِفِهِ من كلام المَادِحِ المُطْنِبِ فى مَدْحِهِ فهو لا يعاقِب الأول ، كأنما يستمع إلى الثانى كَرَمَ طَبْعٍ منه وَطِيبَ سَجِيَّة .

وفى البيت(الثالث عشر) تشبيهٌ بليغٌ مركَّب ، ففى مواجهةِ الكذَّاب الجَسُورِ الذى يتجرأ بالهجوم على الشاعر بلا عقل كالحيوان الضَّارى شبه الشاعِر لسانه بالحَصَاة التى يُرْمَى بها لِرَدْع مِثْلِ هذا المهاجِم الأفاكِ ، ولكنَّه مَعَ قوتِهِ لسانٌ مهذبٌ يدفَعُ الأذَى بالحِلم وبالتى هى أحسن وبما يُمْليه عليه العقلُ ، ويُحَتِّمه الخلقُ الكريم .

وفى البيت (الرابع عشر) يقرر الشاعِر أنَّ عزائمه القوية الشريفةَ حَرَمٌ منيعٌ لا يَسْمَحُ بأن تَمَسَّ قُدْسِيَّتَهُ أوْ توهِنَ منه مطالبُ وملاذُّ الحياةِ الدنيا ، جَاءتْ بها الأيامُ أو مَنَعَتْها ـ ونرى هنا تصويرَهُ العزائمَ فى صُورةِ الحَرَمِ المنيعِ المَصُونِ ، وهى صورة استعارية قوية رائعة ، كما نرى تصْويرَهُ الزمانَ فى صورةِ إنسانٍ يُعْطِى وَيَسْلُبُ ـ وهى صورة

استعارية - وإن كانت مألوفة - إلا أنها فى موضعها جميلة ومعبرة - ولا ننسى تصويره - فى البيت - المطالب الدنيوية (بالفضالات)؛ ليعبر عن زهده فيها ،وعدم الحرص منه عليها ، أو التعلّق بها كما هو شأن أكثر الناس ٠

وفى البيت (الخامس عشر) بَيَّنَ الشاعر أنه من الصَّفْوة الذين فازوا بهذه الخصال الفريدة - التى ساقها فى ثنايا القصيدة - ولا يخفى ما فى (حَبَانى بحفظها زمانى) من استعارة مكنية تصور الزمان عاقلا يَمْنح ثم ختم البيت والقصيدة بتلك الحكمة الرائعة (صَرْفُ الدهرِ نِعْمَ المُؤَدِّب) فإنها حقا لحكمة بالغة تستريح إليها النفس ، ولا يجادل فيها أحد ، مع ما فيها كذلك من تصوير الدهر إنسانا عاقلا ، بل مُؤَدِّبًا ومعلما بل نِعْمَ المعلم والمؤدب !فكان شاعرنا موفقا فى هذا الختام أكبر التوفيق ٠

ز - التجربة الشعرية :

كل ما عبر عنه (الشريفُ الرضىُّ) فى هذه القصيدة (الفخرية) من أخلاق أَبِيَّة ، وشِيمٍ رفيعةٍ من عِشقٍ للمجد وحِلمٍ وإباءٍ وعزيمةٍ شَمَّاءَ وتفضُّلٍ ووقارٍ وعِفَّةٍ ، وتفوقٍ وذكاءٍ وهمةٍ كل ذلك متحققٌ فى شخصيته بشهادة الرُّواة الصادقين الذين نقلوا لنا سيرته وسجلوا تاريخه فلا زَيْفَ فيما قال ولا مبالغة ولا ادّعاء ،ومِنْ ثَمَّ جاء تعبيرُهُ وانفعاله صادقَيْن كلَّ الصدق ، كما جاء تصويرُهُ رائعا حيث اكتملتْ له مع الموهبة القوية الممارسةُ الأدبيَّة والتَّنْشِئَةُ الصَّالِحَةُ ، والأصْلُ الباذِخُ الشريف أَضِفْ إلى ذلك المعاناةُ من أحداث الدهر ، مع ما أوتيه من فكر صائب وعقل راجح وهمة سامقة - ونلمس حاسته الموسيقية الأصيلة فى اختياره (بحر الطويل) إطارًا موسيقيا ملائما كلَّ الملاءمة لغرضِ (الفخر) وهو من الأغراضِ الجليلة فى الشعر العربىّ ، ومن اختياره

(قافيةَ البَاءِ) كذلك وهى مِن الحروف القوية المناسبة لغرض (الفخْر) وجاء ضَمّ الباءِ ليزيدَها قوةً وحلاوةَ جَرْس .

وخلاصة القول فى تجربة الشاعر فى هذه القصيدة : أنهَا تجربةٌ ناجحةٌ رائعة لأن فيها تعبيرًا صادقا أمينا عن نفسه وأخلاقه ومكانته الاجتماعية والأدبية ،وخيالاً خِصْبًا بديعا مصوِّرًا وفِكْرًا صائِبًا عَمِيقا .

****

٨- النَّصُّ الثَّامِن

فِى فلْسفةِ الحَياةِ والمَوْتِ والصِّحَّةِ والْمَرَضِ
وَوَصْفِ الحُمَّى لِأَبِى الطَّيِّبِ المُتَنَبِّى

أولا : (النصُّ واللغةُ والمعْنَى العَامّ) (*)

١ - مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلاَمِ
وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الكَلاَمِ (١)

٢ - ذَرَانِى وَالفَلاَةَ بِلاَ دَلِيلٍ
وَوَجْهِىَ والْهَجِيرَ بِلاَ لِثَامِ (٢)

٣ - فَإِنِّى أَسْتَرِيحُ بِذِى وَهذا
وَأَتْعَبُ بِالإِنَاخَةِ وَالْمقَـامِ (٣)

(*) راجع شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى جـ ٢ ص ٣٩٧ وما بعدها ط الرحمانية نشر : التجارية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م [ومنه أخذنا هذا الشرح]

(١) الفَعال بمعنى الفعل . يقول : لصاحبيه اللذين يلومانه على تَجَشُّمِ الأسفار وإخطاره بنفسه فى طلب المعالى : ملومكما- يعنى نفسه - أجل من أن يلام لأن فعله يجوز طرق القول فلا يدرك فعله بالوصف والقول ولأنه لا مطمع للائم فيه بأن يطيعه أو يخدعه هو بلوم.

(٢) ذرانى دعانى واتركانى . والفلاة الصحراء . ونصَبَ الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . والهجير حَرُّ نصف النهار . يقول : دعانى مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائى فيها وخبرتى بمسالكها ، ودعانى مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقى وجهى لأنى قد اعتدت ذلك .

(٣) الإناخة النزول والمقام مصدر ميمى بمعنى الإقامة وقوله بذى وهذا يعنى بالفلاة والهجير. يقول : راحتى فيهما وتعبى فى النزول والإقامة .

٤ - عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حِرْتُ عَيْنِي
وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي([1])

٥ - فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ
سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ([2])

٦ - يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي
إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ([3])

([1]) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة . وبغام الناقة صوت لا تفصح به وبغمت الناقة تبغم بغاما قطعت الحنين ولم تمده . ورزحت الناقة سقطت من الأعياء . قال الواحدى : قال ابن جنى : معناه أن حارث عينى فأنا بهيمة مثل رواحلى وعينى عينها وصوتى صوتها كما تقول إن فعلت كذا فأنت حمار وانت بلا حاسة وزاد ابن فورجة : هذا بيانا فقال : بريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل فيقول إن تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلتى ومنطقى الفصيح بغامها ، وقال التبريزى عيون رواحلى تنوب عنى إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتى وإنما قال بغامى على الاستعارة ، وهذا المعنى الأخير أصوب - فى رأينا .

([2]) يقول : لا احتاج فى ورود الماء الى دليل يدلنى سوى أن أعدَّ برقَ الغمام واستدلَّ بذلك على المطر فأُتبع موقعه على عادة العرب فى عدّها بروق الغمام وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا(سبعين برقة)وقيل(مائة)فإذا كملتْ وثقوا بأن البرق برق ما طر فرحلوا يطلبون موضع الغيث .

([3]) يقال أذمَّ له أى أعطاه الذمة وهى العهد والخفارة والمهجة الروح . يقول : من احتاج فى سفره إلى ذمة ليأمن بذلك فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سيفى لا استصحب أحدا فى سفرى لآمن بصحبته .

٧ - وَلَا أُمْسِى لِأَهْلِ البُخْلِ ضَيْفًا
وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ (١)

٨ - فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا
جَزَيْتُ عَلَى ابتسامٍ بابتسامِ (٢)

٩ - وصِرْتُ أَشُكُّ فيمنْ أَصْطَفِيهِ
لِعِلْمِى أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَـــامِ (٣)

١٠ - يُحِبُّ العاقِلونَ عَلَى التَّصَافِى
وَحُبُّ الجَاهِلِينَ عَلَى الوَسَامِ (٤)

---

(١) وليس قرى أى وليس لى قرى يقول ، لا أمسى ضيفا للبخيل وإن لم يكن لى طعام البتة ـ لأنه لامخ للنعام ـ ويجوز أن يريد بهذا أن البخيل لاقرى عنده ويروى مَحّ بالحاء المهملة ـ وهو صفرة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مح ـ والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته و لم آت بخيلا .

(٢) الخِبُّ الخداع . يقول : لما فسد وُدُّ الناس وصار خداعا يبشون بوجوهم وكشحهم منطوٍ على الخبث عاملتهم بمثل ما يعاملوننى به ، فهم يكاشروننى وأنا أكاشرهم .

(٣) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفيت ـ اخترت ـ أحدا المودتى لم أكن على ثقة من مودته لعلمى أنه من جملة الخلق . حكى عن المتنبى أنه قال كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إلى ويش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا فعجبت من فطنتة وذكائه .

(٤) الوسام والوسامة حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما فمن أصفى له الود أحبه أما الجاهل الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ،وذلك حب الجهال ـ الحمقى ـ لانه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (*) فهورائق اللون وبئ المذاق .

١١ - وَآنَفُ مِنْ أَخِى لِأَبى وَأُمِّى
إِذا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِـرَامِ (١)

١٢ - أَرَى الأَجْدادَ تَغْلِبُها كَثِيراً
عَلَى الأَوْلادِ: أَخْلاقُ اللِّـئامِ (٢)

١٣ - وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ
بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُـمَامِ (٣)

١٤ - عَجِبْتُ لِمَن له قَدٌ وحَـدٌّ
وَينْبُو نَبْوَةَ الْقَـضِمِ الكَهَامِ (٤)

---

(١) آنف أى أستنكف .

(*) أصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبعارها وأبوالها أى تلبده فى مرابضهـا فربمـا نبـت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة فذلك النبـت هـو خضـراء الدمـن وفـى الحديـث إياكم وخضراء الدمن قيل وما ذاك يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء شبه هذا المرأة بما ينبت فى الدمن من الكلأ له غضارة وهو وبئ المرعى منتن الأصل .

(٢) يقول : إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لئيما وإن كان من أصل كريم كما قال آخر .

أبوك أبٌ حُرٌّ وأمُّك حُـرَّةٌ .. وقـدْ يَلِدُ الحُرانِ غيْرَ نَجِيـــب

وقال آخر

لئنْ فَخَرْتَ بآباءٍ لهم شَـرَفٌ .. لقدْ صَدَقْتَ ولَكِنْ بِئسَ ماولَدُوا !

(٣) أُعزى أُنسب . والهمام السيد الشجاع السخىُّ يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغن عنى فضل جدى .

(٤) وحد أى حد السيف يريد لمن كان له بأس ونبا السيف كَلَّ عن الضريبة والقضم السيف الذى فيه فلول والكهام الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الامور ولا يكون ماضيا .

١٥ - وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى المَعَالِي
فَلاَ يَذَرُ المَطِيَّ بِلاَ سَنَامِ(١)

١٦ - وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا
كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ(٢)

١٧ - أَقَمْتُ بِأَرْضِ (مِصْرَ) فَلاَ وَرَائِي
تَخُبُّ بِيَ المَطِيُّ وَلاَ أَمَامِي(٣)

١٨ - وَمَلَّنِيَ الفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي
يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ (٤)

١٩ - قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِمٌ فُؤَادِي
كَثِيرٌ حَاسِدِي صَعْبٌ مَرَامِي (٥)

٢٠ - عَلِيلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيَامِ
شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ المُدَامِ (٦)

---

(١) المطى الإبل . والسنام : ما شخص (ارتفع) من ظهر البعير يقول : وعجبت لمن وجد الطريق الى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها إليها ولا يتعب مطاياه فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٢) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الابيات إلى نفسه ويعرِّض بالرحيل عن مصر .

(٣) الخَبَبُ ضربٌ من السير : والركاب الإبل يقول : أقمت بمصر لاتسير بى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لايريم .

(٤) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة لأنه أبدا كان يكون على سفر .

(٥) يقول : إنى بمصر غريب فليس يعودنى بها إلا القليل من الناس ، وفؤادى سقيم لتراكم الأحزان علىّ ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى - مطلبى - صعب لأنى أطلب الملك

(٦) قوله من غير المدام أى أنى سكران من غير خمر وإنما من الضعف والهموم .

٢١ - وَزَائِرَتِى كَأَنَّ بها حَيَـــاءً
فليسَ تزورُ إلاَّ فى الظَّــلامِ(١)

٢٢ - بذلتُ لها المَطَارِفَ والحَشَـايَا
فَعَافَتْـهَا وَبَاتَتْ فى عِظَـامِى(٢)

٢٣ - يَضِيقُ الجِلْدُ عَنْ نَفْسِى وَعَنْها
فتوسِعُهُ بأنْـوَاعِ السَّقَـــامِ (٣)

٢٤ - إذا مَا فَارَقَتْنِى غَسَّـــلَتْنِى
كأنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَـــرَامِ (٤)

٢٥ - كَأَنَّ الصُّبْحَ يطرُدُهَا فتَجْرِى
مَدَامِعُهَا بِأرْبعةٍ سِجَـــــامِ(٥)

٢٦ - أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غيْرِ شَوْقٍ
مُرَاقَبةَ المَشُوقِ المُسْتَهَـــامِ(٦)

---

(١) وزائرتى أى ورب زائرة لى - يريد(الحُمَّى)وكانت تأتيه ليلا - يقول : كأنها حيية .ـ كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٢) المطارف جمع مِطْرف وهو رداء من خَزٍّفى جنبه عَلَمان . والحشايا جمع حَشِيَّة وهى ما حُشِىَ من الفراش مما يجلس عليه . وعافتها كرهتها وأبتْها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تبيت فى الفراش وانما تبيت فى عظامى .

(٣) يقول : جلدى لا يسعها ولا يسع أنفاسى للصعداء والحمى تذهب لحمى وتو‍ـ .بما توردە على من أنواع السقام .

(٤) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عندفراقها فكأنها تغسله لعكوفهما على ما يوجب الغسل وإنما خص الحرام للقافية وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام فى وجوب الغسل . وقال ابن الشجرى وانما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة و لم يجعلها زوجةولا مملوكة .

(٥) سجم الدمع سال وانسكب . يقول : انها تفارقه عند الصبح فكأن الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكى بأربعة آماق ، يريد كثيرة الرُّحَضَاء (ـُ) والدمع يجرى من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من اللحاظين أيضا فأراد بالأربعة اللحاظيْن والموقيْن للعينين .

(٦) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لاشوقا .

٢٧ - يَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ
إِذَا أَلْقَاكَ فِى الْكُرَبِ الْعِظَامِ (١)

٢٨ - أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كُلُّ بِنْتٍ
فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ؟(٢)

٢٩ - جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ
مَكانٌ لِلسُّيوفِ وَلاَ السِّهَامِ(٣)

٣٠ - أَلاَ يَالَيْتَ شِعْرَ يَدِى أَتُمْسِى
تَصَرَّفُ فِى عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ؟(٤)

٣١ - وَهَلْ أَرْمِى هَوَاىَ بِرَاقِصاتٍ
مُحَلاَّةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ؟(٥)

---

(١) يقول : إنها صادقة الوعد فى الورود - لأنها لا تتخلف عن ميقانها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع كمن أوعد ثم صدق فى وعيده .

(٢) يريد ببنت الدهر(الحمى)وبنات الدهر شدائده ، يقول للحمى : عندى كل نوع من أنواع الشدائد فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلىّ وهذا من قول الآخر :-

أَتيتُ فؤادَها أَشْكُو إِليْهِ .. فلمْ أَخْلُصْ إليهِ مِنَ الزِّحَامِ

(٣) يقول " لقد جرّحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٤) يسرون ليت شعرى ما حال فلان أى ليتنى أشعر وخبر ليت محذوف أى ليت شعرى حاصل ونحوه . والعنان سير اللجام . والزمام المقود : يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا فى عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت هل أصحّ وأبرأ فأسافر على الخيل والإبل .

(*) الرحضاء : العرق الكثير .

(٥) هو اى أى ما يهواه ويطلبه ، وبراقصات أى بأبل تسير الرقص وهو ضرب من الخَبَبِ يقال رقص البعير رقصا إذا خبّ ، ومحلاة من الحلية . واللغام زَبَد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد بأبل تسير الرقص وقد جمد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلى الفضيه وهذا كما قال منصور النميرى :

ويقطعُ البيدَ منها كلُّ يعْمَلةٍ .. خُرْطومُها باللُّغامِ الجَعْدِ مُلتفِعُ

٣٢ - فَرُبَّتَما شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِى
بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَـــامِ (١)

٣٣ - وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا
خَلاَصَ الخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الفِـدَامِ (٢)

٣٤ - وفارقتُ الحبيبَ بِـلاَ وَداعٍ
وَوَدَّعْتُ البلادَ بِلاَ سَـلاَمِ (٣)

٣٥ - يقولُ لِىَ الطبيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا
وَدَاؤُكَ فِى شَرَابِكَ والطَّـعَامِ

٣٦ - وَمَا فِى طِبِّهِ أَنِّى جَـوَادٌ
أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُـولُ الجَمَـامِ (٤)

٣٧ - تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِى السَّـرَايَا
وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَـامٍ فِى قَتَـامِ (٥)

---

(١) الغليل العطش ويراد به كل ما حز فى الصدر . والقناة الرمح ، والحسام السيف القاطع يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسير إلى ما يهواه وبالسيف والرمح .

(٢) الخطة الأمر والقصة . والفدام ما يجعل على فم الأبريق ليصفى به ما فيه يقول : ربما ضاق أمر علىَّ فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذى تُقَدَّمُ به أفواه الأباريق .

(٣) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لعجلتى ، يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

(٤) الجَمَام الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سبب دائى الأكل والشرب فيقول أكلت كذا وكذا مما يضر وليس فى طبه أن الذى أضر بجسمى طول لبثى وقعودى عن الأسفار كالفرس الجواد يضر بجسمه طول قيامه فى المرابط فيفتر ويبى .

(٥) السَّرايا جمع سرية وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ، والقَتَام : الغبار وأراد بدخول القتام حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد ـ يعنى نفسه أن يثير الغبار فى الجيوش ويخرج من حرب فيدخل فى غيرها .

٣٨ - فَأَمْسِكْ لا يُطالُ لهُ فيرعى
وَلا هو فِي العليقِ ولا اللِّجامِ (١)

٣٩ فإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِى
وإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزامِى (٢)

٤٠ - وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ
سَلِمْتُ مِنَ الحِمَامِ إِلَى الحِمَامِ (٣)

٤١ - تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ
وَلا تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ (٤)

---

(١) لايطال له أى لا يُرخَى طِوَلُه وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل فى المرعى يقول : أمسك هذا الجواد لا يرخى له الطول فيرعى فيه ولا هو فى السفر فيعتلف من المخلاة ، وليس هو فى اللجام : هذا مثل ضربه لنفسه وأنه حليف الفراش ممنوع عن الحركة .

(٢) أُحْمَم من الحمَّى . يقول : ان كنت قد مرضت فى بدنى فان صبرى وعزمى باقيان على ما كانا عليه لم يمرضا بمرض جسمى .

(٣) الحِمام الموت . يقول : إن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ولكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها . وهذا قريب من قول طرفة بن العبد .

لَعَمْرُكَ إِنَّ الموتَ مَا أَخْطَأَ الفتَى .. لَكالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْياهُ بِاليَدِ

ومن قول الأخر :

إِذا بَلَّ مِنْ داءٍ به خَالَ أَنَّهُ .. نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الذى هُوَ قَاتِلُه

(٤) السهاد السهر . والكرى يريد به النوم . والرجام القبور واحدها رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ومنه قول عبدا الله بن مغفل لا ترجموا قبرى أى لا تجعلوا عليه الرجم أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : ما دمت حيا فتمتع من حالتى السهر والنوم ولا ترج النوم في القبر ، وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعْ [illegible] عَلَى شِمالٍ .. مومُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى اليَمِينِ

٤٢ - فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالَـيْنِ مَعْنًى
سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَـامِ (١)

التعريف بالشاعر :

أ - حياته : (*)

أبو الطيب المتنبى هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفى الكندى الكوفى ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة فى محلة تسمى(كندة)فنسب إليها وليس هو من (كندة) التى هى قبيلة بل هو جُعْفِيُّ القبيلة " بضم الجيم وسكون العين " وهو جعفى بن سعد العشيرة بن مذحج ـ واسمه مالك ـ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، نشأ بالكوفة كما ترى ويقال إن أباه كان سَقَّاءً بالكوفة ثم انتقل إلى الشام بولده ونشأ ولده بالشام وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجو المتنبى حيث قال :

أَىُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يطلبُ الفَضْـ
ـلَ مِنَ الناسِ بُكْرَةً وعَشِيًّا ؟
عَاشَ حِينا يَبِيعُ فِى الكُوفَةِ المَا
ءَ وَحِيناً يَبِيعُ مَاءَ المُحَيَّـا

قدم الشام فى صباه وجال فى أقطاره وما زال إلى أن ادَّعَى النبوة فى بادية السَّماوة وتبعه خلق كثير من بنى كَلْب وغيرهم فخرج إليه(لؤلؤ) أميرُ (حِمْص)نائبُ الأخشيدية فأَسَرَه وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وَمِنْ ثَمَّ سُمِّىَ

(١) يريد بثالث الحالين الموت . يقول : إن الموت حال غير حالى السهر والنوم فلا يتمتع فيه بشىء

(*) راجع شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى (المقدمة) ص أ طبع الرحمانية نشر التجارية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .

(المتنبى)، ثم التحق بالأمير (سيف الدولة ابن حمدان) سنة سبع وثلاثين وثلاثمائه وما زال منقطعا له حتى وقع بين المتنبى وبين (ابن خَالَوَيْه) النحوى كلام فى مجلس من مجالس سيف الدولة فوثب ابن خالويه على المتنبى فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه فغضب وفارق سيف الدولة وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائه ومدح كافورا الأخشيدى ، وكان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خُفّان وفى وسطه سيف ومِنْطَقَة ويركب بحاجِبَيْن من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يُرْضِه كافور هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى فلم يُلْحَق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله فلما رأى تغاليه فى شعره وسُمُوَّهُ بنفسه خافه وعوتب فيه فقال:ياقوم من ادّعى النبوة بعد (محمد ﷺ أَمَا يدّعى المملكة مع كافور ؟ فَحَسْبُكُمْ . وَلَمَّا كان (بمصر) مرض وكان له صديق يغشاه فى علته فلما أَبَلَّ(١) أنقطع عنه فكتب إليه :"وصلتني - وصلك الله - مُعْتَلاً ، وقطعْتَنى مُبِلاً ، فإنْ رأيتَ أنْ لا تُحَبِّبَ العِلَّةَ إلىّ ، ولا تُكَدِّرَ الصِّحَةَ علىّ ، فَعَلْتَ إنْ شَاءَ اللّه »

ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومَدَحَ (عضد الدولة بن بويه الديلمى)فأجزل جائزته (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة قاصدا بغداد ثم إلى الكوفة فى شعبان لثمان خلون منه عرض له (فاتك بن الجهل الأسدى)(١) فى عدة من أصحابه وكان مع المتنبى أيضا جماعة من أصحابه فقاتلوهم فقُتل المتنبى وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له(الصافية)وجبال

(١) أَبَلَّ من مرضه : شُفِيَ منه .

(٢) لأنه كان قد هجا ابن أخته المسمى (ضبة) هجاء أقذع فيه وأفحش . وذكر (أم ضبة) بالسوء .

الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد عند (دير العاقول) وذلك يوم الأربعاء لست بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائه ، ولما قتل رثاه(أبو القاسم مظفر بن على الطبسى)بقوله :

لارَعَى اللهُ سِرْبَ هذا الزمانِ
إذ دَهَانا فِى مِثْلِ ذاك اللسانِ
مَا رَأى الناسُ ثانِىَ المتنبى
أىُّ ثانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمانِ ؟
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الكَبِيرَةِ فِى جَيْ
شٍ وَفِى كِبْرِيَاءِ ذِى سُلْطَانِ !
هُوَ فِى شِعْرِهِ نَبِىٌّ وَلَكِنْ
ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِى المَعَانِى !!

ب – منزلته الشعرية :

المتنبى شاعر عبقرىّ من أشهر شعراء عصره ، بل من أشهر وأنبغ شعراء العربية على الإطلاق ، شَغَل الناس والنقاد على مر العصور لِما فى شعره من المزايا الفريدة ، والمحاسن العجيبة ، وهو-كما يقول النقاد-ثالثُ ثلاثةٍ هم قِمَّة الشعراء فى العصر العباسى (أبو تمام) و(البحترىّ) و (المتنبى) ولكل منهم مِيزَتُه ، أما المتبنى فقد فاق صاحبيه فى الحكم والأمثال واختص بالإبداع فى وصف المعارك ومواقف القتال (١) ، ويصفه بعض النقاد المحديثين بأنه (أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم ، والمعانى الدقيقة المخترعة " (٢) ويصفه آخر فيقول :" الشاعر العملاق الذى انقاد عَصِىُّ اللفظ لبديع معانيه ٠٠ حكيمٌ يبهرك بحكمته

(١) عبدالرحمن البرقوقى فى شرحه لديوان المتنبى (المقدمة) .

(٢) أصحاب (المنتخب من ادب العرب) طه حسين وآخرون .

«ويروعُك منه إحساسُ الأديب المُرْهَف .. صَنّاعٌ يغوص على المعنى فى الأعماق حتى يظفرَ به بالغَايَةِ الإعجاز ، وشعرُهُ فى معظمه يشبه السِّحرَ الحَلال ، وله موقعُ الماءِ البارِدِ العذبِ من الظمآنِ،تَطْرَبُ نَشْوَى لسماعِهِ الآذان ، ويجمعُ إلى سُمُوِّ المعنَى روعة التصوير وجودة السبك فى حكمة تجرى على ألسنة الناس مجرى الأمثال»(١) ومن أهم مزايا (المتنبى) فى رأينا تمَيُّزه بأسلوب شِعرى ذى خصائص معينة تدل عليه فى مقدمتها (الحكمة) ، فإذا كنتَ من شُداة الأدب وقرأتَ أو سمعت شيئا من شعره غيرَ منسوب ، حكمتَ بأن هذا الشعرَ له ، وكفى بهذا تفرُّدا .

والحق أنَّ المتنبى قد وَظَّفَ (الحكمة) فى شعره أجمل توظيف فهو يدعم بها المعنى ، ويوضحه بالصورة الجميلة ، ويستدل عليه بالمثل الرائع ، فهو يأتى بها أحيانا فى بيت قَبْلَ البيت المشتمل على المعنى كتمهيدٍ له ، وأحيانا بَعْدَهُ ، وأحيانا مَعَهُ فى نفْس البيت كل ذلك فى براعة وإحكام نسج ، فيحدث فى نفس المتلقى لشعره لذة عقلية ، وارتياحا نفسيا ، وطربا من أثر الإعجاب والبهر ، مع ملاحظة أنه يكاد لا تخلو قصيدة له من هذه الحكم الروائع ، فهو الشاعر الحكيم بحق .

(الأفكار والعناصر الأساسية للنص) :

١ – حبّ (المتنبى) للارتحال فى طلب العلا ، وبُغْضُ الإقامة الأبيات (من ١– ٧) .

٢ – فى الحكمة المتعلقة بالمودّة والصِّحاب الأبيات (من ٨ – ١١) .

٣ – فى الحكمة المتعلقة بالشرف الحقّ والشرف الكاذب – (١ – ١٣)

---

(١) الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد فى شرحه لبعض قصائد المتنبى .

٤ – فى الحكمة المتعلقة بالكمال والنقـــــص الإنسانى · (من ١٤ – ١٦)
٥ – وصف حاله بمصر وشكواه من الإقامة بهـــا (من ١٧ – ٢٠)
٦ – وصف ما أصابه من(الحُمّى)فيها (من ٢١ – ٢٩) ·
٧ – شوق إلى العافية والسفر وخوْض المعارك (من ٣٠ – ٣٤)
٨ – محاورة بين الشاعر وبين طبيبه (من ٣٥ – ٣٨) ·
٩ – حكمة خاتمة فى فلسفة الحياة والموت من ٣٩ ـ ٤٢) ·

(اللفظ والأسلوب) :

ألفاظ (المتنبى) ـ كما هو المعهود فى شعره ـ قوية فصيحة ، لا تكلف فيها ولا استكراه ، بل هى منقادة له يصرفها فى معانيه كيفما شاء وهذا يدل على تمكن مكين من اللغة ومتْنها واطلاع واسع على غرائبها وأسرارها ، ومفرداتها وتراكيبها إلى جانب نحْوها وصرفها فهو وإن كان من الشعراء المُحْدَثين ، إلا أنه جدير بأن يُحْتَجَّ بشعرِهِ كالقدماء ·

وأما أُسلوبه فعالى المستوى بالغ الروعة باذخ سامق ، مما ينبئُ عن بَصَرِهِ بأساليب العرب ، وامتلاكه لناصية البيان وكثرةِ ما قرأ وحفظ من كلام الفصحاء ، وآثار البلغاء ، إلى جانب الموهبة الأصيلة والحسّ المرهف ، والذوق الرفيع ·

(المعانى والأفكار) : –

(المتنبى) شاعر المعانى فى اللغة العربية غير مدافع فقد بلغ فيها من التفنّن والإبداع ، والغوْص على غرائبها ، والابتكار والتوليد ما لم يبلغه شاعر بعده حتى اليوم ·

وأجمل ما يميز معانيه ، ميله الفطرى العجيب إلى (الحكمة) فهو يوردها فى ثنايا شعره ، فتعلو به إلى الإقناع والإمتاع ·

نعم سبقه إلى هذا الاتجاه شاعران كبيران من شعراء العصر العباسى هما (ابن الرومى) (أبو تمام) لكنه تفوق عليهما بكثرة ما أورد فى شعره من الحكم كأنما يَغْرِفُ من بحر ، وبشيوعها فى كلامه شيوعا لم يُعْهَد عند غيره ، وتمتاز حكمه بالعمق والمنطقية ، وتعبر عن ثقافة واسعة وخبرة كبيرة بالحياة ونظرة صائبة للأمور ٠

(التصوير والخيال ومواطن الجمال) : -

١ -(فى البيت الأول)إنباء عن شدة اعتزاز الشاعر بنفسه ورفعة منزلته وثقته التامة بأفعاله وصحتها ، وهو لهذا لا يقبل الملام من صاحبيه الغريبين منه ، وفى البيت محسّن بديعى هو الطباق بين(الفعال والكلام) ٠

٢ - وفى(البيت الثانى)(تذييل جميل)لكل من الطلبين اللّذَيْن طلبهما من صاحبيه(أكسب المعنى قوة كبيرة)وهما أن يتركاه يخوض الصحراء وأن يدعا وجهه للهجير ، فلو اقتصر على ذلك لكان فى ذلك من المشقة ما يكفى تحمله لأن يكون دليلا على شدة حبه للسفر والارتحال فى سبيل العلا والمجد ولكنه أتى بالتذييل لكل منهما بما يزيد فى معنى المشقة درجات ، فجوْب الصحراء (بلا دليل) هلاك محقق ، وترك الوجه فى ريحها السموم (بلا لثام) كذلك ،وهو مع هذا لا يبالى ويصرُّ على الارتحال مفضلا إياه على المقام وترك السفر ، ولو كان على هذه الحال البالغة الصعوبة ٠

٣ - وفى (البيت الثالث) طباق حسن بين (أستريح وأتعب) وفى ٤ - جناس بين (عيون وعينى) وبين بـ ـام وبغامى) ٠

٤ - وفى (البيتين الخامس والسادس) تأكيدٌ لإصراره على اقتحام الصحراء وأهوالها ، وبيانٌ لما أعده لمواجهة أخطارها

من نُدْرَةِ الماء ، وغياب عنصر الحـياة ، أمـا الأول فقد أَعدَّ له ذكاءً وفراسة يدلانه على مواطنه مع صورة جميلة مأخوذة من حياة العرب وتجاربهم لمعرفـة مواقـع المـاء وهـو عَدُّهم بَرْق الغمام) ٠ وأما الثانى فثقـة باللـه وحمايتـه واعتمـاد بعد ذلك على شجاعته وسلاحه ٠ ولا يخفى ما فـى جَعْلـه السيف ضامنا وصاحبَ ذِمَّة من تصوير استعارى جميل ٠

٥ –(وفى البيت السابع) تعليل جميل لإقدامه على هذه المخاطرة وهو كراهيته الإقامـة ضيفا لأهل البُخْل ويـأتى لنـا بصـورة جميلـة تتمـم أهـوال السفر فـى الصحـراء هــى فقـد الطعـام والتعرُّض للموت جوعا والاعتماد على شىء نادر هناك وهـو ما يمكن نيله من بيـض النعام ٠

٦ – وفى البيتين (الثامن والتاسع) جعل صيرورة مـودة النـاس جميعهم خداعـا كأنهـا قضيـة مسلمة ، وبنـى عليهـا أمريـن : أولهما مجاراته إياهم فى هـذه النقيصـة التـى اضطـر إليهـا ، وثانيهما تعميمه الشك ليشمل صديقه المختار ٠٠ محتجـا بأنـه بشر مثلهم وبين (وُدّ وخِبّ) (فى الثامن) طباق على اعتبار أن الخِبّ نوع من العداوة لأنه لا يَخْدَع إلا العدوّ ٠

٧- وفى (البيت العاشر) طباق بين (العاقلين والجاهلين) ٠

٨ – وفى البيت الحادى عشر) تعبير جميل عن مثاليـة الشـاعر فهو لا يتسامح فى مبادئه وقيمـه ، ويطبقهـا بحـزم حتـى علـى الأخ الشقيق ٠

٩ – فى البيتين (الثانى عشر والثالث عشـر) سـاق فـى أولهمـا حكمة استقاها من تجارب الحياة المشاهدة وهى أن لؤم أخـلاق الأولاد قد يغلب علىكرم الأجداد فى أحيـان كثيرة ، ويقـرر فـى ثانيهمـا أنهـ أى الشـاعر – وإن كـان بعيدا عـن اللـؤم لا

يرضى لنفسه من الشرف أن يكون جَدُّهُ شريفا فَحَسْب ، بل لابد أن يكون هو نفسه ، ماجدا شريفا والبيتان يدوران حول معنى واحد ، يوضّحانه فى تكامل وانسجام ،وفى ثاينهما طباق بيْن الأجداد والأولاد.

١٠ - فى البيتين (الرابع عشر والخامس عشر) معنى التعجب مِمَّنْ أوتى أسبابِ الوصول إلى المجد ، ثم قعد عن السعى لبلوغه راضيا بالدّون وفى (السادس عشر) حكمة تؤكد هذا المعنى يدعمها المنطق ،وفى أول الأبيات الثلاثة جناس بين (قدّ وحد) وبين (ينبو ونبوة) (وفى الثانى) كناية عن طول السفر الذى يَبْرِى أسنمة الإبل ،وفى الثالث طباق بين (النقص والتمام).

وفى البيت (السابع عشر) كناية عن (الإقامة) بأرض (مصر) جاءت بعد التصريح بها ، في إشارة إلى أنه مرغم عليها ، غير مختار لها ، فهو (مُدْرَجٌ فى قائمة الممنوعين من السفر) بلغة عصرنا ..

وفى البيت أيضا محسن بديعى هو الطباق بين (ورائى وأمامى) .

وفى (الثامن عشر) استعارتان مكنيتان جعل فيهما (الفراش والجنب) عاقلين يَمَلاّن ، ومن براعة الشاعر أنه جعل مللهما متبادلا فى حالين مختلفين أما مَلل الفراش لجنْبه فهو فى حالة المَرَض ،وأما ملل الجنب للفراش فكان فى حال الصحة وتتابع الأسفار ، وفى البيت (جناس) بين (ملنى) و(يمل)

وفى البيت (التاسع عشر) أربع كنايات هى : (قليلٌ عائدى) عن الغربة ، لأنه لا يقل زوار المرءِ فى مرض إلا إذا كان غريبا ،و(سَقِمٌ فؤادى) عن الحُزن ، لأن الفؤاد لا يسقم إلا من الحزن و(كثيرٌ حاسِدى) عن العظمة لأنه لا يُحْسَدُ إلا

العظيم ، و(صَعْبُ مَرَامِى) عن عُلُوِّ الهمّة لأن الشاعر لا يطلب ما دون المُلك والرياسة ، وقد ساق هذا الكنايات فى يُسْرٍ وبراعة وإحكام نسج يشعرك بالفخامة فى الأسلوب ، مع ما في التعبير عن اللفظ بلازم معناه من طرافة فى التعبير هى سرٌّ بلاغة الكناية - وفى البيت أيضا طباق ظاهر بين (قليل وكثير) وهذا البيت يمثل(لوحة كاملة)بديعة نادرة المثال ٠

وفى (البيت العشرين) أكمل ما سبق من الصفات بصفتين هما (اعتلال جسمه من المرض) و (غيابه عن الوعْى من تأثير الحمى عليه) وشبه هذه الصفة الأخيرة بالسُّكْر ، وجاء قوله :(من غير المدام) احتراسا جميلا يَنْفِى أن يكون هذا السّكر من تناول الخمر ٠

وفى البيت (الحادى والعشرين) استعارة مكنية مركبة (للحمّى) شبهها فيه بإنسانة تزوره ، ولكنها إنسانة تتصف بالحياءِ فلا تزوره إلا ليلا متسترة بظلامه خشية الافتضاح ، وهى صورة جيدة وطريفة ٠

وفى (الثانى والعشرين) صورة طريفة كذلك لهذه الزائرة ذات عناصر تصور الشاعر المريض مرحّبا بها ، مقدما لها أفضل ما يقدم للجلوس والمبيت لكنها كرهت ذلك ، وفضلت أن تبيت فى عظامه تؤلمه وتضنيه !

وفى(البيت الثالث والعشرين) ضِيق الجلد كناية عن الضعف الشديد وقلة الاحتمال لدرجة ـ أن النَّفَس يَشُقُّ عليه وذَكَر الجلد لأنه موطن الإحساس ولكنه إنْ ضاق عنها فهى تسعه بألوان المرض من وجع وسخونة ٠٠٠ الخ ولا يخفى ما بين (يضيق وتوسع) من طباق ٠

وفى البيت (الرابع والعشرين) ثلاث صورى بلاغية أ- تعبير استعارى جميل شبه فيه الحمى بإنسان يفارق ويُغسِّل ب- وفى(غسلتنى) كناية عن غزارة العرق وعمومه الجسم كله .وفى الشطر الثانى من البيت صورة أخرى شبه فيها حتمية تعميم الحمى جسمه بالعرق ، بحتمية الاغتسال لمن أصابته جنابة .

وفى البيت (الخامس والعشرين) صورة مركبة شبه فيها زوال الحمى عنه وقت الصبح ، بطرد الصبح لها فهى تبكى لفراقه ، والبكاء هو العنصر الثانى فى الصورة وجاء مكنيا عنه بـ (تجرى مدامعها) والعنصر الثالث تشبيه ماء الحمى (العرق) بالدمع الغزير ،وأكد غزارته بجريانه من أربعة مواضع فى العين (الموقيْن واللحاظيْن) لا من موضعين فحسب كما فى الدمع المعتاد .

وفى البيت (السادس والعشرين) شبه الجازع المترقب لما يزعجه بالمشوق المترقب لما يؤنسه مع ما بينهما من اختلاف الحال وهنا تلاعب الشاعر بالألفاظ فجاء بالجناس بين أراقب ومراقبة ، وكذلك بين (شوق ومشوق)

وفى (السابع والعشرين) تصوير استعارى بديع شبه فيه الحمى فى إتيانها مريضها فى أوقات ثابته بإنسان(صادق الوعد) وهى صفة محبوبة لكنها هنا ليست كذلك ، ولهذا استدرك الشاعر فى براعة بقوله :(والصدق شرٌّ ..الخ) .

وفى (الثامن والعشرين) التفات([1]) من الشاعر للحمى يخاطبها ، و(يكنى) عنها بـ (بنت الدهر) وفى نسبتها للدهر تضخيم

([1]) من الغَيبة للخطاب .

لشأنها ، ثم يصور نفسه محاطا بالمصائب محاصرا بها من كل جانب وعلى الرغم من ذلك وصلت الحمى إليه ،ويدهش لذلك فى أسلوب استفهامى تعجبى رائع ٠

وفى (التاسع والعشرين) تصوير مؤثر لحاله مع الحمى إذ زادته جراحا إلى جراحه ، وطعنته فى جسم مثخن لا موضع فيه لطعنة جديدة ٠

وفى (الأبيات من ٣٠ – ٣٢) أتى الشاعر بأسلوب التَّمنِّى للشفاء المقترن بالاستفهام المشعر بالتلهف على عودته إلى استئناف الأسفار وخوض المعامع لتحقيق مقاصده العالية ففى ذلك شفاء نفسه وذهاب حزنه ، وقد كنى عن النفس (باليد) لمباشرتها ما يحبه من الأعمال وكنى عن الإبل (براقصات) وهى صفة من صفات مَشْيِها ٠

وفى البيتين (٣٣ ، ٣٤) صور الشاعر ذكاءه الذى يسعفه فى الشدائد ويخلصه من المآزق فى سهولة ويسر فى صورة الخمر التى تتخلص من فدام دِنِّها فى انسياب وخفة ، كما ضرب مثلا لحزمِهِ فى الأمور ، وسرعته الفائقة فى إمضائها فهو لا يقف عند الأشياء المعطِّلة كتوديع الأحِبَّاء والسلام على الأصدقاء ٠

وفى الأبيات من (٣٥ – ٣٨) التى تناولت الحِوار بين الشاعر وطبيبه الذى جاء ليعالجه من (الحمى) أخذ الطبيب بظواهر الأشياءِ فأرجع مرض الشاعر إلى الطعام والشراب ورد (المتنبى) ببيان السبب الحقيقى الذى لا يعرفه الطبيب ويعرفه الشاعر حق المعرفة وهو حَبْسُهُ ومنْعه من الانطلاق أنى شاء ، وهنا شبه نفسه فى هذه الحال بحال الفَرَسِ الكريم الذى رُبِطَ وأُثْبِتَ مكانه فلا هو فى المرْعى الواسع ، ولا هو فى السفر

المنشّط ولا هو فى ميدان الحرب يصُول ويجُول ويثير الغبار فأضرّت الراحةُ ببدنهِ وَمَرِضَ مِنْ قِلة الحركة - وهى صورة مركبه بديعة فائقة الجمال ٠

وفى البيت (التاسع والثلاثين) عبر الشاعر عن قوة صبره ، وصلابة عزمه على الرغم من مرض جسمه ، بِنفْى المرض عنهما ، مع أنهما أمران معنويان فكأنهما شيئان حسّيان يلحقهما المرض ، وهو تصوير قوى وفى البيت جناس بين (أمرض ومَرِض) وبين (أحْمَمْ وَحُمَّ) ٠

وفى (البيت الأربعين) حكمة مستمدة من الحقائق الثابتة وهى أنه لا بقاء للإنسان مهما سَلِم من الأمراض والآفات ، لأن الموت مُدْركه فى النهاية لا محالة ، والشاعر مقتنع بذلك كل الاقتناع ٠ وفى البيت طباق بين السلامة والحِمام ٠

وفى (٤١ – ٤٢) تتمة للحكمة السابقة فقد بَنَى عليها توجيها لكل إنسان أن ينتهز فرصة الحياة كما يحْلُو له - فى سهرٍ أو نوم - وألا يؤملَ فى القبر نَوْمًا ، فالذى فى القبر إنما هو المَوْتُ لا النوم ، وشتان ما بينهما ٠ وفى البيتين طباقان :(بين السُّهاد والرقاد) وبين (الانتباه والمنام) ٠

<u>(التعليق والنقد)</u> :

وهكذا ، وبعد هذا التذوّق المتأنّى لِمَوَاطِنِ الجمال فى أبيات القصيدة ، رأينا (المتنبى) مصوّرا بارعا ، ورساما متقنا وحكيما فيلسوفا ينفذ إلى أسرار الحياة فيجليها ، وإلى أبكار المعانى فيجلوها ، يصور المعنويات كالأخلاق والطباع فى براعة لا تقل عن براعته فى تصوير المحسوسات ويأتى بالصور الجميلة مفردةومركبة جزئية وكلية يكمل بعضها بعضا فى لوحات رائعة تشتمل كل لوحة على عدة أبيات وقد

تأتى اللوحة البديعة فى بيت واحد (١) أو بيتين ، وإن شئت فارجع إلى لوحة (السفر فى الصحراء) ولوحة (أخلاق الناس) ولوحة (وصف الحُمَّى) ولوحة (أمْنِياتِ الشِّفاء) وغيرها من اللوحات لتشهد للمتنبى بالتفوّق والتوفيق فى كل ما وصفناه به وبالشاعرية الفذة والموهبة النادرة ، والعبقرية الساحرة .

(الوِحدة) تمتعت القصيدة بالوحدة (الموضوعية) فهى تدورُ حول موضوع واحد هو(مرض الشاعر) مرضُ جِسْمِهِ بالحُمَّى ، ومرضُ نفسِهِ بالإقامة المفروضة عليه فى مصر ، وما يكابده من أخلاق الناس ، وشوقه إلى الحرية والانطلاق ، وتطلعه إلى الشفاء وتحقيق ما يصبو إليه .

كما تحققت لها (الوِحدة العضوية) فالقصيدة متكاملة الأجزاء والعناصر، يُسَلِّمُ كلُّ عُنْصُرٍ فيها إلى ما بعده ، وكل بيت مرتبط بما قبله وما بعده فى إحكام وانسجام ، لا تحسُّ فيه بفجْوة ، ولا تعثُرُ على ثُغْرَة ، وتأتى (الحكمة) فى ثنايا الأبيات ، فتمثّل الدمَ النقيَّ الذى يَسْرى فى هذا الجسد الحىّ المتلاحِم فيمدُّهُ بالحيويةِ والنُّضْرة والبهاء .

التجربة الشعرية :

تمثل القصيدة إحدى تجارب المتنبى الصادقة فما عبر فيها إلاَّ عن حقائق عاشها ، وآلامٍ عاناها ، ومرارةٍ ذاقها ، ولوعةٍ أحسَّ بها ، ونفسٍ حُرَّة أبية عبرَّ عن مكنوناتها ، فمن أين يتطرق إليها الزّيْفُ أو يأتيها التهافت ؟!

أما (المِوسيقا) فهى شجيَّة اختار الشاعر لِوزْنها (بحرَ الوافر) (مُفَاعَلَتُنْ ست مرّات) وهو بحر فيه خفّة وعذوبة وذو نغمة حزينة تناسب غرض القصيدة ، وأتى بالقافية (ميما مكسورة) لتتمم هذا النغم العذْب واللحن الشجىّ فاكتملتْ للقصيدة بهذا الإطار الموسيقىّ مقوماتُ التجربةِ الشعرية الناجحة .

---

(١) راجع البيت التاسع عشر .

النَّصُّ التَّاسِع

لِأَبِى العَلَاءِ المَعَرِّىّ

٩ – قَالَ يرثِى فَقِيهاً حَنَفِياً ★

١- غَيْرُ مُجْدٍ فِى مِلَّتِى واعْتِقَادِى ∴ نَوْحُ بَاكٍ وَلاتَرَنُّمُ شَادِ [١]

٢- وَشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعِيِّ إِذَا قِيسَ بِصَوْتِ البَشِيــرِ فِى كُلِّ نَادِ [٢]

٣- أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا المَــيَّادِ [٣]

٤- صَاحِ ، هَذِى قُبُورنَا تَمْلأُ الرُّحْبَ فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ (عَادِ)[٤]

٥- خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أَدِيمَ الأَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَــذِهِ الأَجْسَادِ [٥]

٦ – وَقَبِيحٌ بِنَا ، وَإِنْ قَدُمَ العَهْــدُ ، هَوَانُ الآبَــاءِ وَالأَجْـدَادِ

★ راجع ديوان (سقط الزند) للمعرى بشرح (يوسف بن طاهر الخوئى) جـ ١ ص ٧٣ ، ط السعادة بالقاهرة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م

[١] غير مجد : غير مغن ولا نافع ، النوح : رفع الصوت بالبكاء ، والترنم : ترجيع الصوت والشادى : المغنى

[٢] النّعىّ : المخبر بالموت .

[٣] الغصن المياد : المتمايل لينا .

[٤] الرُّحب : السعة .

[٥] أديم الأرض : ظهرها .

٧ – سِرْ إِنِ اسْتَطَعْتَ فِى الهَوَاءِ رُوَيْدًا لاَ اخْتِيالاً على رُفَاتِ العِبَادِ ([١])

٨ – رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأَضْدادِ([٢])

٩ – ودَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِيــنٍ ∴ فِى طَوِيلِ الأَزْمَانِ والآبَادِ ([٣])

١٠ – فَاسْأَلِ (الفَرْقَدَيْنِ) عَمَّنْ أَحَسَّا مِــنْ قَبِيلٍ وَآنَسَا مِنْ بِلاَدِ ([٤])

١١– كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ ∴ وَأَنَارَا لِمُــدْلِجٍ فِى سَوَادِ ([٥])

١٢ – تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلاَّ مِنْ رَاغِــبٍ فِى ازْدِيَــادِ

١٣ – إِنَّ حُزْناً فِى سَاعَةِ المَوْتِ أَضْعَافُ سُرُورٍ فِى سَاعَةِ المِيلَادِ

١٤ – خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ ∴ أُمَّةٌ يَحْسَــبُونَهُمْ لِلنَّــفَادِ([٦])

([١]) رويدا : برفق ، اختيالا : مرحا وتبخترا .

([٢]) اللحد : القبر .

([٣]) الآباد : جمع أبد وهو الدهر .

([٤]) الفرقدان كوكبان مضيئان فى(بنات نعش الصغرى)قريبان من نجم القطب يهتدى بهما السَّفْرُ فى الليل .

([٥]) المدلج : السير بالليل .

([٦]) للبقاء : أى فى الدار الآخرة ،أمة : جماعة وهم فرقة الدهريين الذين يقولون بفناء الأرواح بالموت .

١٥ - إنَّما يَنقلونَ مِنْ دارِ أَعْمَا … لٍ إلى دارِ شِقْوةٍ أوْ رَشَادِ [١]

١٦ ضَجْعَةُ الموْتِ رَقْدةٌ يَستريحُ الجِسْـــمُ فيها والعيشُ مثلُ السُّهادِ [٢]

١٧ - أبَنَاتِ الهَديلِ أَسْعِدنَ أوْ عِدْ … نَ ، قَليلَ العزاءِ بالإسْعادِ [٣]

١٨ - إيهٍ لِلّهِ دَرُّكُنَّ ، فأنتنَّ … اللَّواتي تُحْسِنَّ حِـفْظَ الوِدادِ [٤]

١٩ مَا نَسيتُنَّ هالكاً في الأَوانِ الخَالِ أَوْدَى مِنْ قَبْلِ هُلْكِ إيَادِ [٥]

٢٠ - بيْدَ أنّي لا أَرْتَضي مَا فعلتُنَّ وأَطْـــواقُكُنَّ في الأَجْيادِ [٦]

٢١ - فتسَلَّبْنَ واسْتَعِرْنَ جَميعاً … مِنْ قَميصِ الدُّجَى ثِيابَ حِدَادِ [٧]

٢٢ - ثُمَّ غَرِّدْنَ في المآتِمِ ، واندُبْنَ بِشَجْوٍ مَعَ الغَوانِي الخِرَادِ [٨]

---

(١) دار أعمال : الدنيا ، ودار شقوة : جهنم ، دار رشاد: الجنة .

(٢) السهد : الأرق .

(٣) بنات الهديل : الحمام ، أسعدن : ساعدن بالبكاء ، عِدن : ابذلن الوعد

(٤) لله دركن : كلمة إعجاب ، إيه قبلها : كلمة استزادة .

(٥) هالكا : هو - بحسب الأسطورة ذكر من الحمام - يزعمون أنه كان في عهد (نوح) عليه السلام افترسه جارح من الطير فما من حمامة تهتف إلا وهي تنوح عليه إلى آخر الزمان.

(٦) أطواقكن : يريد بها ما يزين أعناق الحمام من ألوان جميلة .

(٧) فتسلبن : اخلعن هذه الأطواق والبسن السواد .

(٨) الغواني الخراد : المراد : النساء النائحات .

٢٣ - قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ (أَبِى حَمْزَة) الأَوَّ

ابِ مَوْلَى حِجًى ، وَخِـــدْنَ اقْتِصادِ[1]

٢٤ - وفقيهاً أفكارُهُ شِدْنَ (للنُّعمانِ) .. مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْـرُ (زِيَادِ)[2]

٢٥ -(فالعِرَاقِىُّ) بَعْدَهُ (لِلْحِجَازِىِّ) .. قليلُ الخلاف سهلُ القِيَادِ[3]

٢٦ - وَخَطيباً لوْ قامَ بينَ وُحُوشٍ .:. عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بِرَّ النِّقَادِ[4]

٢٧ - رَاوِياً لِلحديثِ ، لَمْ يُحْوِجِ الْمَعْرُوفَ مِنْ صِدْقِهِ إلى (الإِسناد)

٢٨ - أَنفقَ العُمْرَ ناسِكاً يطلبُ العِلْمَ .. بكشفٍ عن أَصلِهِ وانْتِقَادِ

٢٩ - مُسْتَقِى الكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ بِغَرُوبِ اليَرَاعِ مَاءَ مِدادِ[5]

٣٠ذَا بَنَانٍ لاَ تَلْمَسُ الذهبَ الأَحْمَرَ زُهْداً فِى الْعَسْجِدِ الْمُسْتَفَادِ[6]

---

[1] (أبو حمزة) : هو الفقية الحنفى المرثى بهذه القصيدة .

[2] النعمان : المراد به (أبو حنيفة) الإمام المشهور ، وزياد هو الشاعر (النابغة) .

[3] العراقى : يريد به أبا حنيفة النعمان ، الحجازى يريد به الإمام الشافعى .

[4] البر : الإحسان ، والنقاد : صغار الغنم ، والبر بها ترك افتراسها .

[5] قليب زجاج : المراد المحبرة ، والغروب : الدلو ، اليراع القلم .

[6] البنان : الأنامل ، والعسجد الذهب .

٣١ - وَدِّعا أيُّها الحَفِيَّانِ ذاكَ الشَّخْصَ إنَّ الوَدَاعَ أيْسَرُ زَادِ (١)

٣٢ - واغْسِلاهُ بالدَّمْعِ إنْ كانَ طُهْراً :. وادْفِناهُ بيْنَ الحَشَى وَالفُؤَادِ

٣٣واحْبُواهُ الأكْفَانَ مِنْ وَرَقِ المُصْحَفِ كِبْراً عَنْ أنْفَسِ الأبْرَادِ(٢)

٣٤ - واتْلُوَا النَّعْشَ بالقِرَاءَةِ والتَّسْبِيحِ لاَ بالنَّحِيبِ وَالتَّـــعْدَادِ

٣٥ - أَسَفٌ غيرُ نافعٍ ، وَاجْتهادٌ :. لاَ يُـؤَدِّى إلى غَنَاءِ اجْتهادِ

٣٦ طَالَمَا أخْرَجَ الحَزِينَ جَوَى الحُزْ نِ إلَى غَيْرِ لاَئِقٍ بالسَّدادِ (٣)

٣٧ مِثْلَ مَا فَاتَتِ الصَّلاةُ (سُلَيْمَا نَ) فَأنْحَى على رِقَابِ الجِيَادِ (٤)

٣٨وهو مَنْ سُخِّرتْ لَه الإنْسُ وَالجِنُّ بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ (صَادِ)

٣٩ -خَافَ غَدْرَ الأنَامِ فَاسْتَوْدَعَ الرِّيحَ سَلِيلاً تَغْذُوهُ دَرَّ العِهادِ (٥)

---

(١) الحفيان : صاحبا الحفاوة بالمرثى .

(٢) أنفس الأبراد : أغلى الثياب .

(٣)جوى الحزن : شدته .

(٤) أنحى على رقاب الجياد : أقبل يضربها بالسيف وراجع قصة سليمان عليه السلام فى سورة (ص) الآيات من ٣٠ - ٣٤ وهى المشار إليها هنا بالأبيات من ٣٧ - ٤١ .

(٥) در العهاد : ماء المطر .

٤٠ – وَتَوَخَّى لَهُ النَّجَاةَ وَقَدْ أَيْقَنَ أَنَّ الحِـــــمَامَ بِالمِرْصَادِ (١)

٤١ – فَرَمَتْهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الكُرْ ∴ سِيِّ أُمُّ اللُّهَـيْمِ أُخْتُ النَّآدِ (٢)

٤٢ – كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي ∴ يَا جَدِيرًا مِنِّي بِحُسْنِ افْتِقَادِ

٤٣ – قَدْ أَقَرَّ الطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ ∴ وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ العُــوَّادِ (٣)

٤٤ وَانْتَهَى اليَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْعَرَ الوَجْدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى المَعَادِ(٤)

٤٥ – هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْرِيضِ وَيْحٌ لِأَعْيُنِ الهُــجَّادِ (٥)

٤٦ –أَنْتَ مِنْ أُسْرَةٍ مَضَوْا غَيْرَ مَغْرُو رِينَ مِنْ عِيشَةٍ بِذَاتِ ضِمَادِ(٦)

٤٧ – لَا يُغَيِّرْكُمُ الصَّعِيدُ وَكُونُوا ∴ فِيهِ مِثْلَ السُّيُوفِ فِي الأَغْمَادِ (٧)

٤٨ – فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ اللَّيَالِي ∴ رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ الهَوَادِي (٨)

---

(١) الحمام : الموت .

(٢) (أم اللهيم) وأخت النآد : الداهية والموت .

(٣) العواد : زوار المريض .

(٤) لامعاد حتى المعاد : لاعودة حتى القيامة .

(٥) هَجَد : نام ، ويْح : كلمة رحمة .

(٦) ذات ضماد : المراد ذات وجهين .

(٧) الصعيد : التراب والمرادتراب القبور .

(٨) الرِّم العظام البالية ، والهوادى الأعناق .

٤٩ - كُنْتَ خِلَّ الصِّبا فلمَّا أَرَادَ الـ ... بَيْنَ وافقتَ رَأْيَهُ فى المُرادِ(١)

٥٠ - وَرَأَيْتَ الوفاءَ للصَّاحِبِ الأوَّ .. لِ مِنْ شِيمَةِ الـكريمِ الجَوَادِ

٥١ - وَخَلَعْتَ الشَّبابَ غَضًّا فيا ليـتك أَبْلَيْتَهُ مَـعَ الأَنْدَادِ

٥٢ - فَاذْهَبا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْنِ بِسُقْيا رَوائحٍ وَغَـوادِى

٥٣ - وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهنَّ دموعٌ .. لَمَحَوْنَ السُّطورَ فِى الإنْـشَادِ

٥٤(زُحَلٌ) أَشْرَفُ الكَوَاكِبِ دَارًا: مِنْ لِقَاءِ الرَّدَى عَلَى مِيعادِ (٢)

٥٥ وَلِنَارِ (المِرِّيخِ) مِنْ حَدَثَانِ الدَّهْرِ مُطْفٍ وَإِنْ عَلَتْ فِى اتِّقَادِ (٣)

٥٦ - (والثُّرَيَّا) رَهِينَةٌ بِافْتِرَاقِ الشَّمْلِ حتى تُعَدَّ فى الأَفْرَادِ (٤)

٥٧ - فَلْيَكُنْ(لِلمُحَسِّنِ)الأَجَلُ المَمْدُودُ .. رَغْماً لِآنُفِ الحُسَّادِ (٥)

٥٨ - وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا .. ءِ أَخِيهِ جَرَائحِ الأَكْبَادِ .

---

(١) خل : صاحب ، الصبا : الشباب،البين : الفراق

(٢) الأنداد : الأمثال فى السن .

(٣) روائح وغوادى ، سحائب تمسى وتصبح

(٤) زحل : أعلى الكواكب السيارة ، الردى : الموت .

(٥) المريخ : كوكب أحمر من كواكب المجموعة الشمسية .

٥٩ – وَإِذَا البحرُ غَاضَ عَنِّى وَلَمْ أَرْوَ فَلاَ رِىَّ بِادِّخَارِ الثِّمَادِ (١)

٦٠ – كُلُّ بيْتٍ لِلْهَدْمِ ما تَبْتَنِى الْوَرْ . قَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ العِمَادِ (٢)

٦١ وَالفَتَى ظَاعِنٌ ، وَيَكْفِيهِ ظِلُّ السِّـدْرِ ضَرْبَ الأَطْنَابِ وَالأَوْتَادِ (٣)

٦٢ – بَانَ أَمْرُ الإِلَهِ واخْتَلَفَ النَّا . سُ ، فَدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادِ

٦٣ – والذى حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فيهِ . . حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ (٤)

٦٤ – واللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيس يغترُّ . بِكَوْنٍ مَصِــيرُهُ لِلْفَسَادِ (٥)

أولا : التعريفُ بالشَّاعر

أ – نسبُه وحياتُه : هو أحمدُ بنُ عبدالله بنِ سليمان التَّنُوخِىّ (٦)

• (١) الثريا سبع كواكب مجتمعة تبدو كعنقود العنب .

(٢) المحسّن : أمعو المرثى .

(١) الثّماد : المياه القليلة ، واحدها ثمد .

(٢) الورقاء : الحمامة .

(٣) ظاعن : راحل ، السِّدر : شجر النبق ، والأطناب جمع طُنُب (بضمتين) وهو حبـل طويل تشد به الخيمة فى الأوتاد ، والوتد معروف .

(٤) البرية : الناس ، حيوان مستحدث من جماد : هو آدم . عليه السلام المخلوق من التراب

(٥) اللبيب : العاقل .

(٦) نسبة إلى قبيلـة (تنوخ) العربيـة اليمنية التى هـاجرت قبـل الإسـلام إلى الشـمال ثـم استقرت فى شمال الشام .

المعرّى (١) الشاعر الفيلسوف العالم المؤلف المدرس ، ولد فى (معرة النعمان) عام ٣٦٣ هـ الموافق لعام ٩٧٣ م ونشأ فى أسرة كريمة معرقه فى العلم والفضل ، أنجبت القضاء والفقهاء و العلماء والأدباء ، وفى طفولته مرض بالجدرى ، وكان من آثار هذا المرض إصابته بالعمى فى الرابعة عن عمره ، وعنى أبوه -وكان أديبا عالما- بتعليمه وتأديبه ، فحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلم من أبيه وعلماء أسرته ، وشب متعطشا لاكتساب العلوم شغوفا باللغة والأدب خاصة ، وظهرت عليه مخايل النبوغ من ذكاء متقد وحفظ باهر واستفادة مما يُحَصّل من علوم وآداب ، فقال الشعر وهو ابن(إحدى عشرة سنة)يَرُوضُ به قريحته ويتحسس به مكانته فى المستقبل ،وبعد هذه المرحلة انتقل به أهله إلى (حلب) (٢) وهى إحدى حواضر العلم والأدب بالشام ليكمل تعليمه بها ، وهناك تتلمذ على كبار علمائها مدة حتى حَازَ ما عندهم ، ثم عاد الى بلده (المعرة) ليواصل مسيرته العلمية والأدبية معتمدا على نفسه ، فعكف على القراءة فى أمهات الكتب لا سيما اللغوية والأدبية ، وألم بثقافة عصره الحافل ، وأخذ فى مساجلة العلماء والأدباء فى بلدته ومراسلة من هم خارجها وهى مساجلات كشفت عن رسوخ قدمه فى العلم والأدب وقوة تمكنه وتصديه لحل المشكلات العلمية العويصة وشدة عارضته ٠

وجرأته فى تأييد ما يعتقد أنه حق ، ومهاجمته ما يوقن أنه باطل مع اعتناء خاص بالشعر يقرضه في الأغراض المختلفة ، ومنها مدح بعض من يرتاح إليهم من الرؤساء فيحظى عندهم بالقبول والإهداء مع تحفظ منه وعزة نفس ، على الرغم من قله ماله ومن

---

(١) نسبة إلى (معرة النعمان) وهى بلدة كبيرة فى الشام بين (حلب) (وحماه) فيها الزيتون والفواكه الكثيرة ٠

(٢) مدينة عظيمة فى شمال الشام كانت مقر الدولة الحمدانية وشهدت أمجادا عظيمة أدبية وحربية أيام (سيف الدولة الحمدانى) ٠

عجيب ما يروى عنه فى شبابه أنه لشدة ذكائه كان يلعب (بالشطرنج وبالنَّرْد) مع كونه ضريرا - إظهارا للمقدرة ، ثم أعرض عن ذلك مشتغلا بجلائل الأعمال وفى مقدمة ذلك تحصيل العلم بِنَهَم وإخلاص ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، كان قد طار صيته فى الآفاق علما أدبا ، وتاقت نفسه للسفر إلى (بغداد) عاصمة الخلافة ، وحاضرة الحواضر ، ومثوى الأعيان فى كل علم وفن ، رغبة فى الاستزادة من العلوم والمعارف وفى الوقوف على منزلته بالقياس إلى هؤلاء الجهابذة ، وتطلعا لحظ أفضل ومكانة أسمى مما ناله فى بلده ، فنزلها عام ٣٩٨ هـ وكانت شهرته العلمية والأدبية قد سبقته إليها ، فاحتفى به فريق من علمائها وأدبائها ، وأعجبوا بفطنته وتحصيله لدقائق العلم وشاعريته وبادلوه المودة والتقدير ،وحَنِقَ عليه آخرون، حسدوه وضاقوا باعتداده بنفسه وببعض آرائه . فمكروا به وناصبوه العداء ، وأقام ببغداد عامين إلا قليلا وقف فيهما على أحوالها الثقافية والسياسية والاجتماعية واكتسب ما شاء الله أن يكتسب من معارف وتجارب ، وكان قد أزمع الإقامة بها ، والتحول إليها بيد أنه عدل عن ذلك لما لمس من غلبة الفساد على أخلاق الناس بها واختلال أحوال المجتمع وكثرة الفتن ورواج النفاق والرياء وضاق بكيد الحانقين عليه ، ومن ثم لم يطبْ له العيش فى بغداد فقرر الرحيل عنها ، وعاد إلى بلده عام ٤٠٠ هـ قانعا بحظه من الحياة ، وبما بلغه من مكانة علمية وأدبية ازداد بها ثقة بعد هذه الرحلة ، ولزم بيته وسمى نفسه (رهينَ المَحْبِسَيْن) : البيت والعمى،وتفرغ لخدمة العلم والأدب بالتدريس لتلاميذه فى بيته وإملاء مؤلفاته ، فقصده الناس من كل فج ينهلون من علمه وأدبه ويجدون لديه مالا يجدون عند غيره من تمحيص وتدقيق وحلول لأعقد المشكلات العلمية - وكان عندئذ قد وقف على عتبة الكهولة وتخطاها بقليل ([1]) فزهد فى متع الحياة الدنيا ، وحرم على نفسه أكل اللحم وكل ما اشتق من الحيوان ،

([1]) كانت سنه إذ ذاك إحدى وأربعين سنة .

واقتصر على ما أَنْبتته النبات،مع قناعته بالقليل من الطعام ولبس الخشن من الثياب،عفيفا مترفعا عن سفاسف الأمور ، قويا فى الجهر بالحق وإنكار المنكر مهابا فى بلده محاطا بالإجلال والإكبار ، حتى وافته منيته عام ٤٤٩ هـ - ١٠٥٧ م عن ستة وثمانين عاما ودفن فى بلدته (المعرّة) مأسوفا على علمه وفضله .

ب – منزلته العلمية والأدبية :

كان المعرى عالما متبحرا فى اللغة والأدب والنحو والعروض والعلوم الشرعية كالفقة وأصوله ومصطلح الحديث وفى علوم أخرى عقلية كالفلسفة والعقائد واجتماعية كالتاريخ وتقويم البلدان ([1]) وكونية كالفلك (فى جوانبه النظرية) وعلوم أخرى كثيرة حوتها بيئة العصر العباسى الثانى كفلسفات الهند واليونان والفرس وَنُظُمِهم وشرائِعهم وعاداتهم ، والمعرى شاعر فحل قوى الموهبة حكيم فيلسوف ، ويُعَدُّ من مدرسة (المتنبى) التى تعنى بمعانى الشعر وأفكاره وبالحكمة ،وكان أنبغ تلاميذ هذه المدرسة وكان معجبا بالمتنبى شديد التقدير له والاعتزاز به بل والتعصب له ، جارى المعرى أستاذه المتنبى فى العناية بإيراد (الحكمة) فى شعره وترصيع معانى شعره بها إلا أنه زاد على المتنبى فى مزج الحكمة بالفلسفة لكنه قَصَّرَ عنه فى حلاوة صياغتها ، إذْ كان المتنبى أطبع منه شعرا وأسرع التقاطا لشواردها ولذلك تأتى الحكمة عنده فى شطر بيت أو بيت واحد غالبا . أما أبو العلاء فَحِكَمُهُ متأنية فيها استقصاء للفكرة والتماس للعبرة ولذا تأتى فى الأبيات ذواتِ العدد غالبا،ومما يتميز به شعر المعرى الحرصُ على إيراد الغريب و أنواع البديع فى شعره من أثر تبحّره فى العلوم اللغوية ، والمحّسنات فى شعره(وإنْ كان لا

([1]) الجغرافيا .

يبدو عليها التكلف والافتعال نظرا لاقتداره ومهارته فى التصرف فى أسلوبه الشعرى) إلا أن كثرتها نزلت بشعره درجة عن شعر المتنبى والشريف الرضى وأمثالهما وهذا لاينفى أنه بَذّ كثيرا من معاصريه لاسيما فى الأغراض الجديدة التى طرقها والمعانى الجيدة التى ساقها وضمنها آراءه الفلسفية فى الشرائع والمذاهب والعادات ونُظُم الحياة (١)

ومن الأغراض القديمة التى أجادفيها إجادة بالغة (الرثاء) ومنه القصيدة التى نحن بصددها ، وسترى فيها (بعد التأمل والدراسة) من التفنّن وحُسْن التصرف مايشهد للمعرى بالسبق والتفوق والإبداع .

ولتعمق المعرى فى دراسة الشرائع والنظم للأمم السابقة التى انفتحتْ الثقافة الاسلامية عليها فى العصر العباسى وإعجابه ببعض مافيها مال إليها ودعا إليها فى شعره وطبقها على نفسه كما أشرنا إلى ذلك من قبل - فأثار بذلك الشبهات حوله حتى رُمِىَ عند بعض الناس بالزندقة وَألْقَى مَاوَرَدَ من شعره فى هذه الأغراض ظلالا من الشك حول عقيدته بالإضافة إلى ميله للتشاؤم وسوء ظنه بالحياة والأحياء ، وهجومه العنيف على سلبيات المجتمع وشروره . ولكنّ عامة شعره تفيض بما يدل على إيمانه الراسخ بالله وبرسوله عليه السلام وحبه الصادق لآل البيت النبوىّ ، وتوَجُّعِهِ لِمَا أصابهم من نكبات وظلم .

ولم يَرِدْ فى دواوينه الشعرية أو كتبه النثرية مافيه تصريحٌ باختلال اعتقاده ، ولكن رُوِىَ شعر نُسِبَ إليه فيه كفر صراح بالله والدار الآخرة ، وقيلَ إنه مدّسوس عليه من خصومه حَسَدا

(١) راجع المفصل فى تاريخ الأدب العربى لأحمد الاسكندرى وآخرين مطبعة مصر ١٣٥٢هـ ١٩٣٤م

منهم لمكانته ورغبة فى تحطيم شخصيته ، ونحن نميل إلى هذا الرأى لأن هذا الشعر لو كان له حقا ، لَمَا تُرِكَ حَيًّا فى مجتمع إسلامي تسوده القيم الإيمانية والعقيدة الصحيحة الراسخة وراجع (معجم الأدباء) لياقوت الحموى (الجزء الثالث) عند ترجمة المعرى لتقف على بعض هذه الأشعار المدسوسة عليه وَيُجْمِعُ النقاد على أن أبا العلا المعرى عَلَمٌ شامخ من أعلام القرنين الرابع والخامس الهجريين أما شعره فيتمثل فى ثلاثة دواوين أولهما (سقط الزند) وهو ديوانه العام الذى يشتمل على الأمداح والمراثى والوصف والفخر والإخوانيات ، وما إلى ذلك، وثانيها ديوان (اللزوميات) أو لزوم ما لا يلزم وقد ضَمَّنَ قصائده ومقطوعاته (من جهة المعنى والفكرة) خواطِرَهُ وآراءَهُ الفلسفية ، ومن جهة (الموسيقا الشعرية) ألزم نفسه فيها بقيود فى (القافية) لاتلزم الشاعر ولكنه التزمها مختارا إظْهارًا لِبرَاعَتِهِ الشعرية ومقدرته اللغوية ، وهذان الديوانان مِمّا بَقى لنا من شعر المعرّى فهما مطبوعان ومتداولان ، وله ديوان ثالث سماه (ضَوْءَ السّقط) مخطوط وأما النثر فله فيه مؤلفات كثيرة ورسائل بليغة .

منها (رسالةُ الغُفْرَانِ) الشهيرة ذات الموضوع المبتكر (وذكرى حبيب) وهو شرح لديوان أبى تمام و (عبث الوليد) وهو شرح لديوان البحترى و(معجز أحمد) شرح لديوان المتنبى[1] ومن كتبه المفقودة (الأيك والغصون) فى مائة جزء وهو فى الأدب وأخبار العرب وله شرح على أجزاء من الحماسة (الرياشية) وهو

---

[1] تأمل براعته وحسن ذوقه فى اختيار عناوين شروحه لدواوين هؤلاء الأعلام ، ودعابته اللطيفة فى تسمية شرحه لديوان (البحترى) !! .

مخطوط وله كتـاب (الفصـول والغايـات) ، فـي رسـائل وكتـب أخرى فى الأدب والنحو والعروض اغلبها مفقود ([١])

٣ – (تحليل النص إلى عناصره وأفكاره الرئيسة)

١– فى فلسفة الحزن والسرور ـ ١ ـ ٣ ٠

٢ – فى كثرة القبور عبرة ـ ٤ـ ٩ ٠

٣ – فى زوال الأمم السابقة عبرة ـ ١٠ ، ١١ ٠

٤ – حكمة تقرر غلبة الشقاء على الحياة ١٢ ، ١٣ ٠

٥ – حقيقة الخلود بين الحياة والموت ١٤ ـ ١٦ ٠

٦ – خطاب(للحمائم)وإشادة بوفـاتهن وطلـب لمعونتهـن فـى نـدب المرثى ١٧ـ ٢٢ ٠

٧ – إشادة بفضائل المرثى ـ ٢٣ ـ ٢٩ ٠

٨ – من حقوق المرثى على أصحابه ـ ٣٠ ـ ٣٣ ٠

٩ – دعوة إلى القصد فى الحزن ـ ٣٤ ، ٣٥ ٠

([١]) راجع معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٣ ص ١٤٦ وما بعدها حيث ذكرللمعرى أكثر من خمسين كتابا ط دار المأمون ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦ م ٠

١٠ - تمثيل بقصة سليمان مع الخيْل واستطراد بذكر قصتة مع ابنه الطفل ٣٦ - ٤٠ .

١١ - مناجاة للمرثىّ عناصرها : أ - عجز الإنسان أمام الموت

ب - إشادة بأسرة الفقيد جـ - إشادة بصداقة الشاعر للمرثى وإشارة لموته شابا ٤١ - ٥٢ .

١٢ - عبرة بفناء الكواكب عند انتهاء عمرها الذى قدره خالقها ٥٣ - ٥٥ .

١٣ - تعزية أخى الفقيد ٥٦ - ٥٨ .

١٤ - عبرة الختام فى حتمية زوال الدنيا وكون الإنسان فيها كالمسافر واختلاف أحوال الناس بين الهدى والضلال ومعجزة خلق آدم أبى البشر .

٤ - الألفاظ والأساليب :-

الألفاظ منتقاة بعناية اللغوىّ البارع وهى وسط بين السهولة والجزالة ، وترى فيها ألفاظا من علوم مختلفة كعلم(الفلك) وعلم(الحديث) وعلم(الفقه)وعلم(التفسير) وعلم (الكلام)، وذلك من أثر الثقافة - الواسعة للشاعر والتى هى من سمات عصره وبيئته المكانية كما سبق التنويه بذلك .

أما الأسلوب فمصوغ بروية العالِم البليغ ، وفيه حَفَاوَةٌ بالمحسِّنات فترى فيه (طباقا) ، كثيرا وبعَضَ ألوان الجِناس وشيئا من

التورية سننبه إليها عند دراسة النواحى الجمالية فى القصيدة إن شاء الله ٠

٥ - المعانى والأفكار :-

مهد (المعرى) لرثاء صديقه الفقية الحنفى (أبى حمزة) بمقدمة فلسفية فى(ستة عشر بيتا)تشتمل على تـأملات عميقـه فى الحيـاة والمـوت ، أتبعهـا(بستة أبيـات)فـى مناجـاة لبنـات الهديـل (الحمـائم) باعتبـار صوتهـا أقـرب الأصـوات إلــى الشجن والحزن ، ثم قـام بحـق صديقـه فـى الرثـاء بعـد هـذا التمهيد الطويل بتعداد مآثره ، وبيان قدره ، ودعـا عـار فيـه إلى القيام بحقه ، ثم ناجاه وعزّى أخاه ، ثم عاد إلـى تأملاتـه الفلسفية ليختم بها القصيدة٠

٦ - مواطن الجمال وأسراره فى التعبير والتصوير :-

فى الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، يريد الشاعر الفيلسوف أن يقول مهـلا أيها النائح ! ورويدا أيها المترنّم ! فلا جدوى فى النوح على فقيد عزيز لا يستطاع إرجاعه إلى الحياة وقد يكون فى الموت راحـة له ، ولا نفع فى الشدْو فرحًا بقدوم مولـود قـد يكـون فـى قدومـه شقاء له أو لغيره ، وما دمنا لا نعرف حقائق الأمور علـى وجـه اليقين ، فلنقتصد فى التعبير عـن عواطفنـا ، وأكبر دليـل علـى جهلنا بهذه الحقائق ، عدم معرفتنا مـا يـدل عليـه مـا نسمعه مـن صوت الحمام أبكاء هو أم غناء ؟! ٠

وهنا نلاحظ أن (المعرى) لم يبدأ قصيدته بالرثاء كما فعل غيره من الشعراء ، وعلى سبيل المثال كما بدأ(أبو تمام) قصيدته المشهورة فى الرثاء ([١]) بقوله :-

كَذَا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ

فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ !!

بل مَهّدَ بنصح عاقل رشيد ، ومنطق هادئ سديد ، فكان مجددا وموفقا ، ولا يخفى ما فى الأبيات من (تشبيه) صوت الناعى بصوت البشير ،ومن (الطباق) بين النوح والترنم ، وبين الباكى والشادى ، وبين البكاء والغناء ٠

* وفى الأبيات من ٤ ـ ٩ مزج الشاعر بين الأساليب الإنشائية والخبرية مزجا بديعا أما الإنشائية فمنها : (النداءُ) فى (صَاحِ)وهو يشعر بالمودة ، (والاستفهام) بأيْن عن أمكنة قبور السابقين المثير للعجب من كثرتها و اندثارها ، (والأمرُ) المتكرر : (خفف الوطء) (سِرْ إنِ اسْطَعْتَ فى الهواء رويدا (والنَّهْىُ) المستفاد من قوله (لا اخْتِيالاً) فكأنه قال (ولا تَخْتَلْ على رفاتِ العباد) وكل من الأمر والنهى جاء على سبيل النصح والإرشاد المؤيّد بالإقناع أما الأساليب (الخبرية) فأفادت حقائق أراد الشاعر أن ينبهنا إليها لما فيها من عبرة بالغة وهى :-

١- كثرةُ قبورنا واندثارُ معظم قبور السابقين ٠

٢ - ترابُ الأرض مختلط بأجساد الموتى الغابرين ٠

([١]) رثاء (محمد بن حميد الطوسى) ،وراجع ديوان (أبى تمام) ٠

٣ – القبورُ الموجودة الآن حَوَتْ كلٌّ منها العديد من الموتى .

وفى (البيت الثامن) صورة استعارية جميلة صور فيها القبر إنسانا يحسُّ ، ويَعْجَبُ ويَضْحَك لِمَا يَرَى مِنْ تَوَارُدِ الأضداد عليه .

* وفى البيت العاشر) تَخَيَّلَ (الفَرْقَدَيْنِ)-وهما نجْمان قريبان من نجم القطب-إنسانين عاقلين يُحِسَّان بجماعات الناس ويُبْصِران البلاد والعباد ، فهما أهل للسؤال والإجابة وهى صورة جميلة .

* – فى البيت (الثانى عشر) حكمةٌ يكاد يُجْمِع عليها الناس ، مشفوعة بتعجب من مخالفتهم مقتضاها ، أما الحكمة فهى أن الحياة كلها متاعب وآلام ، فكان من المتوقع أن يزْهَدَ الناس فيها ،ولكن الواقع أن معظمهم متمسك بالبقاء فيها راغب فى طول مداها وامتداد أيامها ، وفى البيت (مبالغة) فى قوله (تعبٌ كلها الحياة) لأنها لا تخلو من راحة ومسرة (ولو قليلا)، ولكن هذا التعميم يعكس نظرة (المعرى) المتشائمة للحياة ، ولا تنس ما فى أسلوب القصر(بما وإلاَّ)فى قوله (فما أعجب إلاَّ مِنْ راغبٍ فى ازدياد) من قوة التعجب .

* – وفى البيت (الثالث عشر) حقيقة واقعة ساقها الشاعر ليدل على أن الأحزان فى الحياة الدنيا أضعاف المسرّات ولا تنس (الطباق) فى البيت بين(الحزن والسرور)، وبين (الموت والميلاد).

* – وفى البيت (الرابع عشر) تأصيلٌ لعقيدة أن البشر خُلِقُوا للخلود فى الدار الآخرة ، وَدَمْغٌ لمن ضلوا بظنهم أنهم خُلقوا للفناء ، ولا يخفى ما فى البيت من طباق بين : البقاء والنفاد .

* وفى البيت (الخامس عشر) تلخيصٌ جيد لحقيقة الموت وأنه انتقال من دار إلى دار ، وطباق بين (الشقوة) و(الرشاد) (المراد به السعادة)

* وفى البيت ١٦ تشبيه للموت بالنوم ،وتشبيه للعيْش بالأَرَق ، وذلك لما يتخلله من الآلام والمنغّصات ، فكأنَّ المراحل فى نظر الشاعر كالأتى : حياة وموت ويقظه دائمة ـ وقد وَهِمَ شارح الديوان ([1]) عندما فَسَّر (العيش) فى البيت بقوله :" والعيش بعد البعث مثل الانتباه من النوم " وهذا خطأٌ لغةً وسياقا ، وإنما (العيش) هو الحياة قبل الموت والسُّهاد : هو الأرق كما قررنا ، وبه يستقيم المعنى .

فى ب ١٧ أخذ الشاعر فى مناجاة طريفة لبنات الهديل (الحمائم) فى ستة أبيات بدأها بطلب الإسعاد بالمشاركة فى النوْح على الفقيد أو بالوعْد بهذه المساعدة وكأن الشاعر قد استشعر قلة الباكيات على صديقه فلجأ إلى بنات الهديل ليستكثر بهن ، أو لم يكتف بالباكيات من البشر فأراد أن يُشْرِكَ عوالم أخرى معهن كالطير ، وفى البيت (جناس) بين (أَسَعِدْنَ) و(عِدْنَ) - وفى ب ١٨ (إعجابٌ) من الشاعر ببنات الهديل و(ثناءٌ) عليهن لاتِّصافِهِن بصفة الوفاء الحميدة ، بلِ و(قَصْرِ الإحسانِ فى هذه

([1]) هو الشيخ يوسف بن طاهر الخوتى المتوفى عام ٥٤٩ هـ وراجع كتابه (شرح التنوير على سقط الزند) مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م جـ ١ ص ٢٧٦ .

الصفة عليهن) وهذا القصر مستفاد من تعريف الخبر (اللواتى ... الخ) .

* وفى (ب ١٩) أراد الشاعر أن يقيم الدليل على استحقاق (الحمائم) لهذه المنزلة الرفيعة التى رفعهن إليها ، وذلك بإشارته إلى أسطورة فى شأنهن تؤكد صفة الوفاء فيهن ، تقول الأسطورة إن (الهديل) الأول ذَكَرٌ من الحَمَام كان ـ فيما يزعمون ـ على عهد (نوح) عليه السلام فصاده جارح من جوارح الطير فأهلكه ، قالوا : فليس من حمامة ـ بعد ذلك ـ تهتف إلا وهى تنوح عليه .!!

وتوظيفُ الأُسْطُورَةِ لخدمةِ المعنى تَجْدِيدٌ يُحْسَبُ للشاعر :

بيد أن (المعرى) لم يقتصر على الإشارة إلى الأسطورة وتوظيفها فى خدمة المعنى بل تعدى ذلك فى (البيت العشرين) إلى أضافةٍ طريفةٍ للمعنى ـ على طريقته فى الاستقصاء والتوليد ـ جعل فيها (الخيال) مطيَّته إلى طلبٍ من بنات الهديل ،(إذا تحقق)كان الشاعر راضيا عنهن كل الرضا ، وإلا نقص رضاه عنهن بعض الشئ :

هذا الطلب هو أن تَتَخَلَّى الحمائم عن ثيابهن الزاهية ، ولا سيما ما حباهن الله من ريش رائع الألوان فى أعناقهن ، يشبه الحُلِيَّ الثمينة التى تتحلى بها نساء البشر فى المناسبات السعيدة فى أجيادهن ، وأن يستبدلْنَ بهذه الأطواق الجميلة ثيابًا سودًا تناسب الحِداد والنَّوْح والبكاء ، كما تفعل نساء البشر ذلك فى المناسبات الحزينة .

* – وبعد اثنين وعشرين بيتا من التمهيدات الفلسفية لغرض القصيدة وموضوعها شرع (أبو العلاء) فى (البيت الثالث والعشرين) وما بعده فى(الرثاء المباشر) للفقيد ، فصرح باسمه وأخذ فى الثناء عليه ، وإسناد أطيب الصفات إليه ، وفى (قَصَدَ الدهرُ) تصوير استعارى للدهر فى صورة الإنسان العاقل

* – وفى ب ٢٤ عقد الشاعر موازنة طريفة بين (مَجدٍ عِلْمِيٍّ) أضافه (أبو حمزة الفقيه) لمذهب (أبى حنيفة النعمان) بما له فيه من اجتهادات قيّمة شرّفت الإمام صاحب المذهب ، وبين (مَجْدٍ أدَبِيٍّ) أضافه الشاعر (زياد) وهو (النابغة الذبياني) (للنعمان بن المنذر) ملك (الحيرة) بما للنابغة فيه من الأشعار الرائعة ـ ليجعل (المعرىُّ) نتيجة الموازنة فى صَفّ (أبى حمزة) وما شاد من (مجد علمى) ، فهو به المتفوق والفائز ٠

وفى لفظ النعمان (تورية) لأن المقصود به هنا الإمام أبو حنيفة و الشاعر وَرّى(بالنعمان بن المنذر)لأنه المتبادر عند ذكر اسم (النّعمان) - وفى (شِدْن) و (لم يشِده) صورة جميلة شبه فيها الإضافة المعنوية : علمية أو أدبية بالبناء والتشييد الحسيين٠

* وفى (ب ٢٦) مبالغة فى قوة تأثير خَطَابة المرثىّ، حتى تتأثر بها الوحوش لوسمعتْها فتكف عن طبيعتها فى الافتراس وهى مبالغة مقبولة ، ولو أنها قائمة على الافتراض المستفاد من (لو) ٠

* – وفى (ب ٢٨) استعارة مكنية شبه فيها العمر بما خلف من مال ونحوه ،وجمع للمرثى بين منزلتين كريمتين قضى

عمره فيهما : الاجتهاد فى العبادة ، والتوفيق والتحرى فى مسائل العلم .

* – وفى (ب ٢٩) صورة مركبة جميلة صور فيها الشيخ الجليل (أبا حمزة) وهو يمسك قلمه بكفه ، ويغمسه فى (محبرته) ليكتب المسائل العلمية ، بالذى يَرِدُ بئرا ويمسك بدلوه فيستقى منها الماء ، وعناصر هذه الصورة هى : المحبرة كالبئر إلاّ أنها من زجاج ، والقلم كالدلو ، والمِداد كالماء ، وقد مزج الشاعر هذه العناصر حتى كون هذه الصورة البديعة .

*– وفى (ب ٣٠) كناية لطيفة عن زهد المرثى بأن أصابعه لا تلمس الذهب الذى يتمنى معظم الناس اقتناءه وتقليبه فى أكفهم .

* – وفى الأبيات (٣١ - ٣٣) خطاب لصاحِبَىْ المرثى الحميميْن يتضمن طلبا لخمسة أمور هى فى نظر الشاعر من حقه عليهما :(أولها) ألا يقصّرا فى توديعه وتشبيعه إلى مثواه الأخير ، فذلك أدنى زاد لهما منه قبل الفراق الأبدى .

ثانيها : أن يغسلاه بالدمع بدل الماء لأن هذا ما يليق به لمعزّته وعلو قدره ، ولكثرة ما أريق من دموع على فقده ، وفى البيت (احتراس) جميل بقوله :"إنْ كان طُهرًا " فيه إشارة خفية إلى أن الدمع لا يصلح لهذه المهمة لأنه ممزوج بالدم لعظم المصيبة ، ومِنْ ثَمّ لا يكون طاهرا ، وهى إشارة فى غاية الدقة واللطف .

ثالثا : أن يدْفِناهُ لا فى قبْر وإنما بين الحشا والفؤاد ، وهو أمر مستحيل فالمقصود به إظهار شدة الإعزاز لهذا الفقيد .

رابعها : أن يكفّناه لا فى الثياب البيض ولكن فى ورق المصحف تكريما له ، وهذا الطلب أيضا غير معقول ، والهدف منه كسابقه التكريم والتبجيل •

خامسها : أن يتبعا نعش هذا الفقيد الكريم بتلاوة القرآن الكريم وتسبيح الله تعالى وذكره لا بالبكاء والتعداد لمآثره ، فهذا هو اللائق بمثل هذا الشخص المتديّن الصالح •

* – وفى الأبيات) ٣٦ ـ ٣٨) ذكّرنا الشاعر بحقيقة فى أولها واستدل عليها بالبيتين التاليين ، أما القضية فهى أنه كثيرا ما يخرج الحزن الشديد صاحبه عن الصواب ، وأما الدليل فقد استقاه من قصة سليمان نبىّ الله عليه السلام التى وردت فى القرآن الكريم ([1]) حين كان يستعرض الخيل فشغلته حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر فحزن لذلك وغضب وأمر برد الخيل أدّاهُ غضبُهُ إلى فعلٍ غير لائق وهو ضرب الخيل بالسيف فى أعناقها وسوقها مع أنه لا ذنب لها فإذا كانت شدةُ الحُزْن أدت بسليمان إلى هذا وهو نبىّ فما أحْرى غيره بأن يجتنبها •

* – وفى الأبيات (٣٩ – ٤١) عبرة أخرى ساقها الشاعر من أخبار (سليمان) عليه السلام ، كأن المعرى لما أتى من أخباره بالقصة السابقة ، تذكر قصّة أخرى فيها عبرة ، وهى وإن كانت مختلفة عن سابقتها فى موضوعها الخاص ، إلا أنها داخلة فى الموضوع العام ، وهو (الموت) وحتّميته واستحالة النجاة منه مهما احتيط لذلك الأمر ، وهى قصة(المولود)الذى امتحن له به سليمان ، فشغفه حبا ، وتغالى فى العناية به والخوف عليه من الهلاك ، فقتلته الشياطين وألقتْه على كرسىّ أبيه جسدًاها مدًّا لاحراك به ، فأدرك سليمان أن الله امتحنه بهذا

([1]) سورة ص (الآيات من ٣٠ - ٣٣) •

فأناب إلى ربه راضيا بقضائه مسلّما الأمور إليه - وهذه القصة وردت الأشارة إليها كذلك فى القرآن الكريم ([1]) ولكن (المعرّى) أخذ بما قاله بعض المفسرين (غيرِ المدققين) فى تـأويل مبالغة سليمان فى الخوف على ابنه من الهـلاك أنـه استودع ابنـه الرّيـح تغذوه من المطر !! وهذا أشبه بالإساطير - وهنا نوجه النقد إلى الشاعر من جهتين : -

<u>أولا</u> : أنه استطرد بهذه القصة التى لم يكن السياق يقتضيها مهما قلنا فى تبريرها - فهى مقحمة على السياق إقحاما واضحا .

<u>ثانيـا</u> : أنَه أورد التفسيرَ الأُسْطُورِىَّ الذى أتتْ به بعـض التفاسير من الإسرائيليات التى تسرَّبتْ إليها مما لا سَنَدَ لـه <u>فى الآية الكريمة</u> ، ولا يدخل فى دائرة المعقولات .

* - وفى البيت الأربعين) صور الشـاعر المـوت بالنسبة لكل حىّ فى صورة وحش يترقب الفريسة لينقض عليهـا ، وفى البيت التالى صَوَّرَ الداهيةَ التى تهلك مَنْ حَلّت بِهِ فى صورة رامٍ مُسَدَّدِ الرَّمْيِ سَهْمُهُ الموتُ يصيب به من جاء أَجَلُه فلا يخطئـه ، وهما صورتان معبرتان دقيقتان .

* - (فى ب ٤٢) شرعَ الشاعرُ فى مُنَاجَاةٍ طويلـةٍ ([2]) جزيئةٍ لصديقه بدأها بهذا(الاستفهام)المفيد للحزن والتحسُّر على فراقه ، متبعا إياه(بالنداء)الذى يحمل معنى الإعْزازِ وقوةِ المودّة بينهما .

([1]) سورة (ص) الآية ٣٤ .

([2]) امتدت حتى البيت الثالث والخمسين .

* – (وفى ٤٣) ذكر أمرين كل منهما كناية عن اقتراب النهاية وأن المريض على وشك الموت ، وهما اعتراف الطبيب بعجزه عن علاج مريضه وانقطاع تردد العواد عليه ، وفى تنكير لفظ (عجز) ما فيه من شدة هذا العجز •

* – (وفى ٤٤) إذعان ببلوغ اليأس من الشفاء غايته ، وحلول شعور جارف من محبيه بأنه الفراق الذى لالقاء بعده حتى القيامة •

ولا يخفى ما فى البيت من (جناس) بين (مَعَاد) بمعنى رجوع و(المَعَاد) بمعنى يوم القيامة ، وفى الأبيات الثلاثة تصوير دقيق مؤثر لحالة مَنْ هو على شفا الموت •

* – و(ب ٤٥) تتمة للصورة السابقة التى رأينا فيها (الطبيب والعواد) ،أما هنا فنرى القائمين(بالتمريض)من أهله وذويه ، فقدناموا الآن بعد طول السهر فى ليالى مرضه ، وبعد كبير المعاناة فى تمريضه وخدمته ، والشاعر لا ينسى حقهم ، فيدعو لهذه الأعين بالرحمة جزاء ما كابدت وقامت بواجبها المقدس ...ل ما يكون القيام •

وفى (ب ٤٦) ثنى الشاعر فى مناجاته لصديقه بذكر فضائل أسرته فهم على شاكلته فى الزهد وعدم الاغترار بالدنيا ذات التقلب والتلوّن ،وهنا شبهها بالمرأة الخائنة التى تجمع بين خليلين فى وقت واحد وهو ما تأباه النفوس الكريمة •

وفى (ب ٤٧ ، ٤٨) وجه الخطاب إلى أفراد هذه الأسرة الكريمة داعيا لهم ومتمنيا ألا يغير أجسادَهم الطاهرة ترابُ القبر ،وأن يظلوا فيه بمنأى عن الفساد والتحلل فيكونوا فيه كالسيوف

فى الأغماد سلامة وصيانة ، فإنه يشق على نفسه بلاء أجساد أمثالهم حتى لتختلط عظام الأقدام بعظام الأعناق ، ولا يخفى ما فى البيت (السابع والأربعين) من (تشبيه تمثيلى) شبه فيه الأجسام التى تبقى سليمة فى قبورها ، بالسيوف المصانة فى أغمادها ، وما فى (الثامن والأربعين) من (استعارة مكنية) صور فيها الليالى عاقلة قائمة بخلط عظام الموتى بعضها ببعض .

ثم عاد الشاعر إلى خطاب صديقه فى (٤٩ وما بعد) قائلا : كنت صاحبى ونحن فى سن الصِّبا فهو الصاحب الثالث لنا معا ، فلما ذهب الصبا ، وبدأنا ندخل فى مرحلة جديدة هى الكهولة فضّلت أنْ تذهب معه وتتركنى ، وفاءً منك له لأنه الصاحب الأول ، وفى إسناد الإرادة والرأى إلى (الصبا) تصوير جميل ،وفى (٥١) تصوير استعارى شبه فيه الشباب بثوب يلبس ويخلع ،ويبلى مع الأيام ، كما شبهه بالشىء الغضّ ، وختم البيت(بالتمنى)الموحى بالحسرة على فقد صديقه العزيز .

* – وفى (ب ٥٢) توديع اشتمل على ثناء على الصاحبين الكريمين بالخيْريّة فى الذاهبين وبأنهما حقيقان بالسقيا الدائمة المتتابعة فى المساء والصباح([1]) ولا يخفى ما فى البيت من (جناس) بين : فاذ هبا وذاهبين ، و(طباق) بين روائح وغواد .

* – وفى الأبيات (٥٤ – ٥٦) التماسٌ للعزاء بفناء النجوم والكواكب الموعود ، مع عظم شأنها وضخامة أجرامها .

([1]) العرب تدعو لقبور الأحبة بالسقيا أى بنزول المطر عليها حتى تظل بليلة .

* – وفى الأبيات (٥٧ – ٥٩) تعزيةٌ لأخى الفقيد ودعاءٌ له بطول العمر وبالتّصبّر ففيه شقاء للنفس عن مصابه فى أخيه ، ومصاب أبناء أخيه فى أبيهم وهو مصاب فادح يشبه الجراح فى أكبادهم ثم ضرب مثلا لغياب الفقيد قبل أن يَرْوى الشاعر نفسه من محاسنه بالبحر الذى يغيض قبل أن يرتوى الشارب العطشان من مائه ، وهى صورة جيدة ، ثم شبه أبناء الفقيد بالماء القليل الذى بقى بعد غيض البحر ، فهيهات أن يُغْنُوا غَنَاءه أو يكون فيهم عوض عند الشاعر وهذه الصورة الأخيرة فيها صراحة قاسية بالنسبة للأبناء ، وتقليل من شأنهم ، ما كان للشاعر أن يجابههم أو يجابه عَمّهمْ بها فضلا عن تَجَرُّئِهِ على الغيب ، فمن يدرى؟ لعل أن يكون من هؤلاء الأبناء فى المستقبل من يبلغ مبلغ أبيه فى العلم والفضل ، فالشاعر لم يوفّق – فى رأينا – فى نظرته لهؤلاء الأبناء . وفى الأبيات (من ٦٠ – ٦٤) وهى ختام القصيدة عاد الشاعر إلى تأملاته الفلسفية العميقة ،وحكمه وأمثاله البليغة ففى (البيت الستين) حكمة واقعة رائعة (كلُّ بيتٍ للهدْم) أتبعها بتعميم مع مقابلة بين (بيْت الحمامة)فى وَهَنه وضعفه و(بيت السيد الماجد)فى إحكامه وقوته فجلى المعنى فى أوضح صورة وأمتع بيان .

وفى(ب ٦١) تلا الحكمة السابقة بأخرى لا تقل عنها روعة ولا واقعية مع إيجازها المعجز (والفتى ظاعِنٌ) وأتبعها بما ينبغى أن يكون إذا تقررت هذه الحقيقة فى النفوس من زهد فى البناء وقناعة بأيسر ما يلزم المسافر ،وهو ظل الشجر فى تلخيص مقنع لمن أراد أن يقتنع ويتعظ .

وفى (البيت الثانى والستين) حكمة تبين ظهور أمر الله فى قضائه بالموت على الخلائق ، وكذلك فى اختلاف الناس وانقسامهم بين (الهدى والضلال) ولا يخفى ما بينهما من (طباق) .

وفى (ب ٦٣) لفت نظر للإنسان إلى أصله وهو (آدم) عليه السلام فى خلقته العجيبة ، إذ جمع الله تعالى فيه بين الحيوانية والجمادية .

وفى (ب ٦٤) وهو بيت الختام ، دعوة قوية للإنسان إلى استعمال أفضل ما خلق الله فيه وهو العقل ، بالتفكير السليم الذى يعصمه من الاغترار بالعاجلة الفانية عن الآجلة الباقية ، وفى تكرار كلمة (اللبيب) ما فيه من تنبيه وإيقاظ للانتفاع بهذه النعمة الشريفة ، والمنحة الجليلة ، وبذلك ختم الشاعر قصيدته الرثائية بما بدأها به من التأملات العقلية والنظرات الفلسفية ، فتم لها بذلك الإطار الذى يعبر عن الشاعر واتجاهاته فى الحياة .

التعليق العام :

وهكذا طوفنا مع (أبى العلاء) فى داليته الخالدة فى رثاء صديقه (ابى حمزة الفقيه) ، فاحِصِين مدققين ، ومستمتعين بما حوتْ من روائع النغم ، ونفائس الحِكَم ، وبدائع التصوير وفرائد التعبير ، مستدركين عليه فى بعض المواضع التى لم يوفق فيها ـ فى رأينا ـ وهى على أية حال قليلة إذا قيست بإحسانه الكثير ، و(وِحدة الموضوع) فى القصيدة متحققه ، أما (الوِحدة العضوية) فتخلخلتْ فى مواضع قليلة نبهنا إليها فى مواضعها وفيما عداها فهى متماسكة متواصلة المعانى والأفكار ، وقد جاءت (الموسيقا) فى القصيدة مناسبة فى رأينا لغرضها

وموضوعها فهى من بحر (الخفيف) (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) مرتين وهو بحر فيه امتداد وشجن وقافيتها دالية مكسورة من (المتواتر) ([1]) وهى بما فيها من حرفى المد (الألف والياء المشبعة من الكسرة): ذات امتداد وشجن كذلك يناسب الحزن والبكاء ٠

أما (التجربة الشعرية) فى هذه القصيدة فصادقة فِكرا وإحساسا ، وانفعالا وخيالا ، وتصويرا وتعبيرا وابتكارا وتجديدا ، ونذكر فى ختام دراستنا لهذه القصيدة بما سبق أن نوهنا به فى أولها وهو أن شعراء العصر العباسى الثانى متأثرون تأثرا بالغا بثقافة عصرهم الواسعة وكان من أثر ذلك أن اتجه كثير منهم ــ وفى مقدمتهم (المعرى) فى الرثاء اتجاها جَدِيدًا لا يكتفى بالبكاء على المرثى وتعداد مآثره ، بل يجعل من رثائه منطلقا لنظرات فلسفية عميقة تمتاز بالتأمل الدقيق وتحاول استجلاء سرِّ الحياة والموت فتربط بينهما برباط محكم ، وتكاد تمحو الفروق بينهما ، ثم لا تكتفى بالنظر إلى الإنسان ونهايته بل تنظر إلى الكون كله أرضه وسمائه ، وإلى مصيره المحتوم ، نظرة فيها شمول وحكمة واستبصار ،ومن خلال ذلك تسوق العبر والعظات ، فى إقناع هادئ وتحاول تغيير السلوك البشرى الغافل عن حقائق الأشياء ، إلى النهج القويم والصراط السوى ٠

([1]) وهو كل قافية فيها متحرك بين ساكنين ٠

ثانيا : من النثر

١٠ – النص العاشر

فى الشَّوْقِ وَالْمُكَاتَبَاتِ الإِخْوانِيَّةِ - لابْنِ العَمِيد

أ – النص واللغة :★

كتب إلى صديقه الأديب الشيخ (أبى عبدالله الطبرى) ردا على رسالة وردت منه إليه :

" كِتَابِى وأَنا بحالٍ لَوْ لَمْ يُنَغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولمْ يُرَنِّقْ (١) صَفْوَهَا النزوعُ (٢) نحْوك ، لعَدَدْتُهَا من الأحوالِ الجميلة ، وأَعْدَدتُ حَظى منها فى النِّعَمِ الجليلة : فقد جُمِعَتْ فيها بين سلامةٍ عامة ، ونِعمةٍ تامة ، وحَظِيتُ منها فى جِسمى بصلاح ، وفى سَعْيِى بنجاح . لكنْ ما بَقِيَ أَنْ يَصْفُوَ لى عيشٌ مع بُعْدِى عنك وَيَخْلُوَ ذَرْعِى (٣) مع خُلُوِّى منك ، وَيَسُوغَ لى مطعمٌ ومشربٌ مع أنفرادي دونك . وكيف أطمع فى ذلك وأنت جزءٌ مِنْ نفْسى ، وناظمٌ لِشَمْلِ أُنْسِي ، وقد حُرِمْتُ رُؤْيَتَك ، وعَدِمْتُ مُشاهدَتَك وهل تَسْكُنُ نفسٌ متشعبةٌ ذاتُ انقِسَام؟ ويَنْفَعُ أُنْسُ بيْتٍ بلا نِظَام ؟

★ المنتخب من أدب العرب : طه حسين وآخرون ط دار الكتب المصرية [illegible]

(١) يرنق : يكدر .

(٢) النزوع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٣) يقال فلان خالى الذرع : أى فارغ القلب من الهموم . ويراد بالذرع : الطاقةُ وسَعَةُ النفس والخُلُقُ .

وقد قرأت كتابك ــ جعلنى الله تعالى فداءك (١) فامتلأت سرورا بملاحظة خطك وتأمل تصرفك فى لفظك ،وما أقر ظهما ، فكل خصالك مقرظ عندى ، وما أمدحهما ، فكل أمرك ممدوح فى ضميرى وعقدى (٢) وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك (٣) وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصرى (٤) " .

ب ــ (ترجمة ابن العميد) :

هو الوزير الجليل الأستاذ الرئيس (أبو الفضل محمد بن الحسين) المولود عام ٣٠٠ هــ (*) فى أسرة فارسية كريمة من مدينة (قم) لأب من رجال العلم والأدب والفضل هو الشيخ (أبو عبدالله الحسين بن محمد الملقب بالعميد) ، وكان هذا الوالد الكريم فى أول أمره كاتبا لأمير (قم) المسمى :(ما كان بن كاكى) ولمازالت دولة هذا الأمير على يد السامانيين ملوك (بخارى) (٥) قبض على أعوانه ومنهم (الحسين بن محمد) وحملوا إلى (بخارى) ولكن لم يلبث أن شفع له فضله فأفرج عنه السلطان (نوح بن نصر السامانى) وولاه رئاسة ديوان الرسائل (الإنشاء) فنهض به على خير وجه ،وكانت رسائله غاية فى

---

(١) أقرظهما : أمدحهما

(٢) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٣) فى الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٤) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(*) والمتوفى عام ٣٦٠ هــ .

(٥) إحدى عواصم بلاد التركستان الإسلامية التى كان لها شأنها العظيم فى تلك العصور والتى غزاها الروس الشيوعيون فى مطلع العصر الحديث وضموها إلى بلادهم قسرا و حسبك أنها منجبة (الإمام البخارى) جامع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من جلة العلماء .

البلاغة والإحكام وقد دُوِّنَتْ لنفاستها ولُقِّبَ صاحبهابالشيخ و(وبالعميد) (١) ولم يزل في منصبه الجليل في (بخارى) متى وافته منيته .

نشأن (أبن العميد) في كنف هذا الأب العظيم ، فتربى على طريقته ، ونهل من معينه ، وتأدب بأدبه ، وتأثر بأسلوبه واقتبس من نبوغه ، ولما شب عن الطوق في حياة أبيه وحذق العلوم والفنون وتضلع في الأدب وأحاط بثقافةِ عصرِهِ آثر أنْ يَبْدأ حياته العملية في موطنه الأصليّ ببلاد فارس فالتحق بخدمة آل (بويه) كاتبا في دواوينهم ثم لم يزل يترقى لعلمه وأدبه ونبوغه حتى صار الوزير الأعظم (رئيس الوزراء) للسلطان (ركن الدولة البويهي) في فارس والجبل عام ٣٣٨ هـ ، ولقد كان رحمة الله آية من آيات الله فيما اجتمع له من الفضائل كان عالما متبحرا في علوم الدين وعلوم الدنيا ، وسياسيا ماهرا وأديبا بليغا فـ ق أهل زمانه في صناعة الكتابة وكان أحفظ الناس لِلغة وغريبها وأعرفهم بشعراء الجاهلية والإسلام ، حاد الذكاء واسع الأطلاع موسوعة معارف حتى لقب (بالجاحظ الآخر) وضرب به المثل في إتقان الكتابة فقال النقاد "بُدِئَتِ الكتابةُ بعبدِ الحميد) (٢) وخُتِمَتْ بابنِ العميد " وكان إلى جانب هذا متفوقا في العلوم الفلسفية والرياضية كالمنطق والهندسة والميكانيكا وعلى الجملة فهو عبقريٌّ فذّ ، ونابغة من نوابغ الدهر ،وحَسَنَةٌ من حسنات ذلك العصر ولقد كان زينةً للدولة البُوَيْهِيّة ، شَرَّقَتْ أخبارُ فضلِهِ وغَرَّبَتْ ، وقصده الأدباء والشعراءَ من كل الأقطار مادحين مؤملين بل متشوقين متلهفين من أجْلِ أن يَسْعدوا بلقائه ويشْرُفُوا بمعرفته وحسْبُك أن يكون من قصادِه الشاعرُ الكبير (المتنبي) الذي يصوّر لنا هذا الشخصية العظيمة في قوله :

---

(١) أي رئيس الكتاب .

(٢) هو عبدالحميد بن يحيى آخر وأبلغ كتاب الدولة الأموية .

مَنْ مُبلِغُ الأَعْرابِ أَنّي بعدهم

شاهدتُ (رَسْطَاليسَ) و(الإِسْكَندرا) ؟!

وسمِعتُ (بطليموسَ) دارِسَ كُتبِهِ

مُتملِّكا متبَدِّيا متحضِّرا !

ولقيتُ كلَّ الفاضِلِينَ كأَنَّما

ردَّ الإِله نفوسهم والأعصرا !

نُسِقُوا لنا نسق الحِسابِ مقدما

وأتى ، فذلِك إِذ أتيت مؤخرا !!

بأبي وأُمِّي ناطقٌ فِي لفظِهِ

ثمنٌ تباعُ بِهِ القلوبُ وتشترى !

قطفَ الرِّجالُ القولَ وقتَ نباتِهِ

وقطفتَ أنتَ القولَ لمّا نوّرا !!

جـ - (منزلته الأدبية) :

يعد (ابن العميد) من أعظم الكتاب الذين أنجبهم العصر العباسى الثانى بخاصة والأدب العربى بعامة ، وقد أشرنا فى ترجمته إلى أن النقاد شبهوه (بالجاحظ) فى قوة أسلوبه وعلوّ طبقته فى الكتابة ، كما جعلوه خاتمة المجيدين من الكتاب ليوازنوه بعبد الحميد) نابغةِ النثرِ فى العصرِ الأمويّ .

ولا جدال فى أنه صار زعيما لطريقة فى الكتابة الأدبية عُرفتْ باسمه ونُسبتْ إليه فقيل :(طريقةُ ابنِ العميد) ، وقد جاراه فيها كُتّابُ عصره ومَنْ جاء بعدهم ، فصار بها زعيما مشتهرا ، وإماما متّبعا ، وهى طريقة لها خصائص فنية تتلخص فى الآتى :-

١- استعمالُ الجُمَلِ القِصَار متأثرا (بالجاحظ) بيد أنه كان يلتزم السجع العذْب فى أواخرها ، مع احتفاظه برونقِ العبارة ونفاسةِ المعنى .

٢ - تزيينُ الأسلوب بشىءٍ مِنَ المحسّناتِ البديعية - زيادةً على السجْع - كالمطابقة والجناس .

٣ - الاقْتباسُ من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه فى المواضع المناسبة وكذلك من كلام النبى عليه السلام .

٤ - تضمين الأسلوب الحِكَمَ والأمْثال من أقوال الأقدمين ولا سيما الشعر الرائع .

٥ – الإتيان بالصور البيانية فى الأسلوب من تشبيهات واستعارات وكنايات من غير تكلف ولا استكراه ٠

٦ – إيثار (أسلوب الإطناب) فى كتابته ، فهو يبسط الفكرة ويوضحها ، ويقسّم الموضوع ويرتب أجزاءه ،ويستوفى كل جزء بالبيان ، ويستعين على ذلك بالمترادفات الكثيرة ، ويعاود الإفصاح عن المعنى بتنويع العبارات وسوْق الأدلة ، وبالتفريع والتوليد ، حتى لا يدع فيه زيادة لمستزيد[١]٠

د – (تحليل الرسالة إلى أفكارها الرئيسية) : –

١– وصفٌ لحُسْنِ حالِهِ وطيبِ عيْشِهِ عند إرساله هذه الرسالة لصديقِهِ لولا شئٌ يَنغّص عليه هذه النعمة ٠

٢ – إفْصَاحٌ عن هذا الأمر المنغّص وهو بُعْدُ صديقِهِ عنه ٠

٣ – تعليلٌ لهذه القضية ٠

٤ – حُسْنُ أثَرِ خطاب الصديقِ فى نفسه ٠

٥ – المنزلةُ الخاصةُ لهذا الصديق عند (ابن العميد) ٠

---

(١) وتظهر هذه الخاصية فى رسائله الكبيرة ذات الشأن الخطير ، كرسالته إلى (ابن بلكا ونداد) عند استعصائه على السلطان (ركن الدولة البويهى) يدعوه فيها إلى الطاعة ٠ وهى مشهورة موجودة فى كتب الأدب ، راجعها فى (يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٣ ص ١٦٣ ط مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة ٠

٦ - رجاء وختام .

د -(اللفظ والأسلوب) :-

جاء اللفظ فى هذه الرسالة سهلا رشيقا ، عذبا أنيقا ، وجاء الأسلوب مسجوعا إلا أنه السجع الذى لا تكلف فيه ولا استكراه ولا إلحاح وقد جمع أسلوبه بين الخبر والإنشاء ، والشرط والجزاء ، والاستفهام والدعاء ، والإثبات بعد النفى ، والاستشهاد بالشعر الرائع ، فى تصرف جميل ، وسياق بديع ، لا يقدر عليه ، ولا يسمو إليه إلا أديب متمكّن ، وكاتب ضليع متفنّن .

هـ -(فى المعانى والأفكار) : -

بدأ (ابن العميد) رسالته إلى صديقه ببث الطمأنينة فى نفسه على أحواله مع استدراك يشعره بعظمة مكانته لديه وبما يحمله له من مودة وإعزاز كبير بين ، وأكد ذلك المعنى بالأسلوب(الإنشائىّ) بعد الأسلوب(الخبرىّ)، ثم انتقل إلى وصف ما أحس به من سرور وارتياح بعد قراءته كتاب صديقه ، ورؤيته خطه الجميل ، وأسلوبه البديع ، الجديريْن بالمدح والتقريظ كسائر خِصاله وختم الرسالة برجاء أن يكون (أى ابن العميد) موفّقا فىحسن رأيه فى هذا الصديق ، ومُوَافقا للحقيقة ، وإلا فليس الذنب ذنبه ، فمن شأن الحُبّ أن يَغَطّىَ على عيوب المحبوب ويظهره - مهما كان - فى أبهى صورة ، وأكمل مثال . وهذا الأسلوب وإن أشعر (باحتمال) أن يكون فى الصديق عيب ، فلقد (أكد) من جديد أنه يحبه حبا جما .

ولعلك تحس معى بمدى الترابط بين المعانى فى الرسالة والتواصل بين أفكارها فهو ترابط مكين وتواصل وثيق •

ولعلك تحس كذلك بمدى سموِّ هذه المشاعر التى تضمنتها الرسالة ، فهى قوية عميقة ، وإنسانية نبيلة ، وعظيمة نادرة ، فما أقل مثلها بين الأصدقاء ، وما أكثر النفاق والرياء •

والدعوى التى ساقها الكاتب (وهى تكدُّرُ عيْشِهِ لبُعْد صديقه عنه) دَعَمها بالدليل العقلى ، وأيدها بالبرهان المنطقى ، فكان موفّقا ومسددا فى دعواه •

التصوير والخيال ومواطن البلاغة والجمال :

١- فى قوله (يُرَنِّق صَفوَهَا النُّزوعُ نحوكَ) صورة مركبة جميلة صور فيها الحال الطيبة يَعْرِضُ لها ما يُنَغِّصُهَا ، بالماءِ الصافى يَعْرِضُ له ما يُكَدِّرُه : وفى العبارةِ (جناس) بين لفظى (عامة) و(تامة) وبين لفظى (يخلو وخُلُوِّى) (وطباق) بين كلمتى مطعم ومشرب •

٢- وفى قوله :" وكيف أطمع فى ذلك ......؟ " استفهام إنكارى جميل كأنَّ عدم صفاء عيشه مع غياب صديقه أمرٌ طبعى لا يصح خلافه، وجاءت الصورتان التاليتان كدليل عليه بالتشبيهين البليغين :" أنت جزء من نفسى " "أنت ناظم لشمل أنسىَ" وفى التشبه الثانى صورة مركبة ، جعل الكاتب فيها مباهج حياته كالعِقْد وجعل صَديقه(كالسلك)الذى يُمَسِكُ حباتِ هذا العقد ، بدونه ينفرط هذا العقد ويذهب نظامه ، وهى صورة جِدُّ معبرة وجميلة •

٣- فى قوله "هل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ؟ وهل ينفع أنس بيت بلا نظام ؟" استفهاما أدوا غرض بلاغى هو (النفى) ، ونفى السكون عن النفس المتشعبة المنقسمة ، ونفى نفع الأنس عن البيت غير المنظم ، قضيتان مسلمتان لاجدال فيهما - ولو جاء النفى فيهما مباشرا لما كان له هذا الوقع الحسن الذى جلبه أسلوب الاستفهام .

٤ - العبارة " جعلنى الله تعالى فداءك " جملة اعتراضية دعائية واقعة موقعها ، وفيها من التواضع ولين الجانب من رئيس سنى الرتبة (كابن العميد) ما فيها مع الذوق الرفيع ، والأدب الجم .

٥- فى العبارة :" وما أقرظهما .... وما أمدحهما ... " (نفى) التقريظ للخط والأسلوب خاصة ثم إدخالهما فى عموم " كل خصالك مقرظ عندى " فهو نفى غير مقصود تلاه (إثبات) لمدحهما (وشمول) لما سواهما ، وهذا تفنن فى الأسلوب فيه طرافة وإبداع.

٦ - فى اقتباس الكاتب هذا الشطر من الشعر :

" غطى هواك وما ألقى على بصرى " موطنان للجمال :

أ - حسن اختيار الكاتب لما يناسب المعنى من الشعر الرائع.

ب - الصورة التى شبه فيها (الستر المعنوى) على (البصيرة) الناشئ من شدة الحب ، والذى يحجب عنها عيوب

المحبوب (بالتغْطِيَةِ الحِسِّية) على البصر التى تحجب عنه المبصرات ، وهى صورة دقيقة بديعة ٠

التعليـــــــق :-

وهكذا عشنا مع رسالةٍ (لابن العميد) من اللوْن الإخوانى (في المودّةِ والشوق) كانت رَدًّا على رسالةٍ مِنْ أحدِ أصدقائه المقرّبين ، وهي رسالة ـ كما ترى ـ أقربُ إلى الإيجاز ، ومع ذلك فقد جاءتْ جامعةً لمحاسنَ كثيرة فى اللفظ والأسلوب والمعانى والصُّوَر ، عرضناها عليك بالتفصيل فى الدراسة الأدبية للنص ٠

وتمثّل هذه الرسالة نَثْرَ ابنِ العميد ، وطريقَتَهُ فى الكتابة ، تلك الطريقة التى حدثناك عن خصائصها الفنية فيما سبق وبالله التوفيق ٠

النص الحادى عشر

من النَّثْرِ القَصَصِيِّ : لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمَذَانِيِّ

المَقَامَةُ البَغْدَادِيَّةُ

أ – النص واللغة ★

حَدَّثَنَا (عِيسَى بنُ هِشَامٍ) قَالَ : اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ (١) ، وَأَنَا بِبَغْدَاذَ وليسَ مَعِي عَقْدٌ عَلَى نَقْد (٢) فخرجْتُ أنتهزُ مَحَالَّه حتى أَحَلَّنِي (الكَرْخُ) (٣) فَإِذَا أنا بِسَوَادِيٍّ يسُوقُ بالجَهْدِ حِمَارَه (٤) وَيُطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَه . فقلتُ : ظَفِرْنا وَاللهِ بِصَيْد ، وَحَيَّاكَ اللّهُ (أَبَا زَيْد) . مِنْ أَيْنَ أَقبلتَ ؟ وأَيْنَ نزلتَ ؟ ومتى وَافَيْتَ ؟ وَهَلُمَّ إلى البيْت (٥) فقال السَّوادىّ : لستُ بأبِي زَيد . ولكنِي (أبو عُبَيْد) . فقلتُ : نَعَمْ لعنَ اللهُ الشيطان . وأبْعَدَ النِّسْيانِ . أَنْسَانيكَ طولُ العَهْد . واتّصالُ البُعْد (٦) فكيفَ حَالُ أبيك؟ أشَابٌّ كَعَهْدِى ؟ أَمْ

★ راجع مقامات بديع الزمان بشرح (محمد محيى الدين عبد الحميد) ط ١ القاهرة عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٣م .

(١) الازاذنوع من التمر الجيد

(٢) أى والحال أنى معدم لا مال عندى .

(٣) المحال : جمع محله والمراد بها الأماكن التى يوجد بها الزاد وأنتهز المراد منه اتلمس وأقصدو لكنه جعلها كالغنيمة التى يسارِع لانتهازها اللبق و(الكَرْخ) محلة ببغداد والضمير فى أحلنى راجع ألى الازاذ من إسناد الفعل للسبب .

(٤) السَّواد ريف العراق وقراه والنسبة إليه سوادىٌّ والمراد رَجُلٌ من أهله .

(٥) أراد بالصيْد ذلك الرجل ثم أقبل عليه يحادثه ويكالمه ويتداخل معه لينال منه ما أراد .

(٦) أخذ يُدخِل بحيلته فى روع السوادى أنه أليف قد يم وصاحب من عهد بعيد فلما أخطأ تكنيته وخشى ألا تجوز حيلته عهد الى انتحال المعاذير بطول أمدِ الفراق وبعد عهد التلاق .

شَابَ بَعْدِي ؟ فقال : قد نبتَ الرَّبيعُ على دِمْنتِه (١) وأرجو أن يُصيِّرَهُ اللهُ إلى جَنَّتِه . فقلتُ : إنا للهِ وإنا إليه راجعون، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَار . إلى الصِّدار . أريدُ تمزيقَه (٢) فقبضَ السَّواديُّ على خَصْري بجُمْعِهِ (٣) وقال: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَه . فقلتُ : هلمَّ إلى البيتِ نُصِبْ غَدَاءً أو إلى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً والسُّوق أقربُ . وطعامُهُ أطيبُ . فاستفزَّتْهُ حُمَةُ القَرَم . وعطفتْه عاطفة اللَّقَم (٤) وطَمِع ولم يعلمْ أنه وَقَع . ثم أتينا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِواؤُهُ عَرَقا . وتتسايلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقا (٥) فقلتُ : أفْرِزْ لأبي زَيْدٍ من هذا الشِّواء . ثم زِنْ لهُ مِنْ تلك الحَلْواء . واخترْ له من تِلْكَ الأطباق . وانْضُدْ عليها أوراق الرُّقاق . ورُشَّ عليه شيئًا مِنْ مَاءِ السُّمَّاق (٦) ليأكله أبو زيد هنيًّا فانْحَى الشَّواءُ بساطوره (٧) على زُبْدَةِ تَنُّوره . فجعَلها كالكُحْل سَحْقا . وكالطَّحْنِ دَقًّا . ثم جلسَ وجلستُ . ولا نَبَسَ ولا نَبَسْتُ (٨) . حتى استَوْفَيْنَاهُ . وقلتُ لصاحب الحَلْوى : زِنْ لأبي زيْدٍ مِنَ (اللَّوْزِينَج) رِطْلَيْنِ فهو أجْرَى في الحُلُوق . وأمْضَى في العُرُوق . وليكنْ لَيْلِيَّ العُمْر . يَوْمِيَّ

---

(١) المراد بالدمنة القبر وكنى بذلك عن موته .

(٢) ... درة والمسارعة ، والصدار ثوب يلبس مما يلى الجسد والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر إلى ثوبه ليمزقه إظهارا للجزع وتأكيدا للحيلة بأنه صديق أبيه .

(٣) جمع اليد بالضم قبضتها والمعنى أنه قبض بكل يده عليه ليمنعه من تمزيق صداره .

(٤) استفزته : استهوته وحركته بشدة ،والحمة فى الأصل إبرة المعقرب التى تلسع بهائم حملت على الشدة مطلقا ، والقرم : الشهوة البالغة لأكل اللحم واللقم السرعة فى الأكل والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه إليه أسرعا به الى موافقتى .

(٥) الجوذابة رغيف يخبز وفوقه طائر أو قطعة لحم .

(٦) السماق حب صغير أحمر حامض من المشهيات ، اللوزينج : نوع من الحلوى .

(٧) الساطور سكين عظيمة وبهذا الاسم تعرف عند العامة من أهل مصر .

(٨) نبس : تحركت شفتاه بشئ ، يقال : ما نبس بكلمة وما نبس ببنت شفه . أى لم يتكلم

النَّشْرِ (١) رَقيقَ القِشْرِ ، كَثِيفَ الحَشْوِ لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ ، يذوبُ كالصَّمْغِ ، قَبلَ المَضْغِ لِيأكُلَهُ أبو زيدٍ هنيا ، قَال: فَوَزَنَهُ ثمَّ قَعَدَ وقَعَدْتُ ، وجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ (٢) حتى اسْتَوْفَيْناه ، ثم قلتُ : يا أبا زيد مَا أَحْوَجَنَا إلى مَاءٍ يُشَعْشَعُ بالثلج لِيقْمَعَ هذه الصَّارَّةَ وَيفثأَ هذه اللُّقَمَ الحَارَّةَ (٣) إجْلِسْ ياأبَا زيْد حتى نَأْتيكَ بِسقَّاء ، يأتيكَ بشَرْبَةِ مَاء ، ثم خرجْتُ وجلسْتُ بحيثُ أرَاهُ ولا يراني أنظُرُ مَا يَصْنَعُ ، فلمَّا أبطأتُ عليْه قامَ السَّوادِيُّ إلى حِمَارِه فاعْتَلقَ الشَّوَّاءُ بِإزَارِه (٤) وقال : أيْنَ ثمنُ مَا أكلتَ ؟ فقال أبو زيد : أكلتُهُ ضَيْفا ، فلكمهُ لكْمَةً ، وَثنَّى عليه بلَطْمَة (٥) ثم قال الشَّواء : هَاكَ ، ومتى دَعْوَنَاكَ (٦) زِنْ ياأخا القِحَةِ عشْرين (٧) فَجَعلَ السواديُّ يبكي ويحلُّ عُقَدَهُ بأسْنانِه ويقول : كمْ قلتُ لِذاك القُرَيْد ، أنا أبو عُبَيْد ، وهو يقولُ : أنتَ أبو زَيْد!! فأنشدتُ :

---

(١) اللوزينج نوع من الحلوى يتخذ من الخبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالنقل،وكونه ليلى العمر أى مما صنع ليلاً،نهاريَّ النشر أى وظهر نهارا ليكون قد شرب دهنه وعسله .

(٢) أى شَمَّرَ عن ساعده ليسرع فى الأكل .

(٣) يشعشع : يخلط ومن ثم قيل للخمر : مشعشعة لانها تشرب مخلوطة بالماء كثيرا قال:

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحصَّ فيها . . إذا ما الماءُ خَالَطَها سَخِينا

ويقمع : يقهر ، الصارة ، شدة الحر ، يفثأ : يكسر ويخفف . المعنى أننا فى حاجة الى الماء المخلوط بالثلج ليرد عنها سطوات الحر ويخفف من حدة هذا الاكل فى أجوافنا .

(٤) اعتلق تعلّق ومسك أى أن الشواء لم يتركه يخرج بل أمسك به ليستوفى حقه منه .

(٥) أكلته ضيفا أى كنت مدعوًّا لتناول هـذا الطعام فلا يحل لك أن تطالبنى بثمنه لأن الضيف لا يدفع ثمن ما يأكل .

(٦) هَاكَ : اسم فعل بمعنى خذ والمعنى . تناولْ من الضرب واللكم ما أنت به خليق .

(٧) القِحة : الوقاحة وسوء الادب ومعنى زِنْ عشرين : أعطِ وزنَ عشرين درهما .

اِعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَهْ .. لا تقعدنَّ بِكلّ حَـالَةْ (١)

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ .. فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحَالَةْ (٢)

ب – ترجمة بديع الزمان الهمذانى :–

هو أبو الفضل(أحمدُ بنُ الحسين بنِ يحْيى بْنِ سعيد)الهمذانى الملقب ببديع الزمان ، والمولود فى مدينه (هَمَذَان) إحدى مدن فارس ، حوالى عام ٣٥٦ هـ فى أسرى كريمة عربية الأصل ، ونشأ فى ذلك العصر الزاهر الذى راجت فيه العربية وآدابها حتى فى بلاد العجم ، وتلقى دروسه الأولى على علماء همذان وأدبائها ومنهم (ابن فارس) ، وكان البديع شغوفا بالعلم محبا للأدب ، عظيم الفطنة سريع الحفظ ، آية من آيات الله فى حدة الذكاء مع طبع صاف ، وخلق رضىّ ، ثم تاقت نفسه للاستزادة من الأدب والعلم ، فرحل إلى (الصاحب بن عباد) الوزير الأديب فى مدينة (أصفهان) واقتبس من أدبه وفضله ، ثم كانت له رحلة إلى مدينة (جرجان) وأخرى إلى مدينة (نيسابور) فى عام ٣٨٢ هـ وفى ذلك الوقت كان قد نضج واستكمل آلات .. ، فقال الشعر الرقيق ، وكتب النثر الأنيق ، وظهرت هناك عبقريته فأملى مقاماته المشهورة التىكان بها رائدًا لهذا الفن فى الأدب ،وكانت (نيسابور) فى ذلك الوقت تحوى إماما من أئمة الأدب والكتابة هو (أبو بكر الخُوارَزْمى) وهو أكبر من بديع الزمان سِنًّا ومكانة ، فانعقدتْ بينهما أواصر المودة ، وتبادلا المكاتبات الأدبيـة ، البديعة ، إلا أن ذلك لمْ يَدُمْ طويلا

---

(١) المعنى : لا تكن خائر القوى فتقعد عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك حتى تعمل له ولا يقبل عليك حتى تسير إليه بل أجهد نفسك ، وادأب فى السعى إليه ، ولا تدخر وسعا فى تحصيله .

(٢) أى أنه لابد أن يأتى على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته .

فَسَاءَ ما بينهما وانقلبتْ المودةُ إلى خصومةٍ ، وتنافسا ـ كأبناء مهنة واحدة ـ منافسة فيها عنف ،وتحدّى كل منهما الآخر في ميادين الأدب ومجالاته ، وساءت الظروف بديع الزمان فرجحتْ كفته في هذه المباريات وتغلب على الخوازمي في بعض المحاورات والمساجلات فطارَصِيتُ (بديع الزمان) وعظمتْ شهرته ، ونال مكانة كبيرة في عالم الأدب إذْ لم يكن يظن ظان أن أحدا يقْدرُ على الوقوف أمام الخوازمي فضلا عن أن يهزمه ، ولم يلبث أن توفى (الخوارزمي) فخلا الجو للبديع ، وابتسم له الزمن وتنقل في حواضِر فارس مكرَّمًا مبجلا ، بيد أن المنية وافتْهُ فجأة في سن الأربعينَ ، فلقى ربه عام ٣٩٧ هـ وكان رحمه الله ـ إلى جانب ذكائه الخارق ، وبراعته الفائقة في الأدبيْن العربيّ والفارسيّ ـ كما وصفه معاصره (أبو منصور الثعالبي) في(اليتيمة)، مقبولَ الصّورة ، خفيف الروح ، حسن العشرة ناصع الظرف ، عظيم الخُلُق ، شريفَ النفس ، كريم العهد خالص الودّ ، حلوَ الصداقة ، مُرَّ العداوة ، إلا أنه لا يَشْمَتُ بعدوّه إنْ أصابه مكروه .

جـ- منزلته الأدبية :

كان أديبا كبيرا فهو في الطليعة من أدباء العصر العباسي الثاني بعامة و(العهد البُوَيْهِي)بخاصة ،يَقْرِضُ الشّعْر ، ويُدَبّجُ النثر إلا أنه كاتبًا أبرعُ منه شاعرًا وله في الكتابه الرسائل البليغة الطوال والقصار وهو إلى الطول أميل ، وأسلوبه يجمع بين جمال العبارة ورشاقة اللفظ ودقة المعنى وصفاء الطبع وحسن التخيّل مع إلمامٍ بالصنعة البديعية في غير تكلف ولا مبالغة ، وهو مبتكرُ فنّ (المَقَامَة) في الأدب العربي ، وهو فنٌّ نثريٌّ قَصَصِيّ احتلّ مكانة خاصة في الكتابة منذ أن أنشأه (البديع) وحاكاه الكُتّابُ بَعْدَهُ على مرّ العصور حتى أوائلِ (عصرنا الحديث)وعلى رأسِ مَنْ قلده في هذا الفن (الحريريّ) المتوفّى

عام ٥١٦ هـ وقد قصد (بديع الزمان) من ابتكار (فن المقامات) خدمة اللغة العربية بإحياء تراثها مع الإمتاع بإلباس الوسيلة إلى هذا الهدف ثوبا قصصيا فكاهيا جذابا ، واختلف فى عدد ما أنشأه من مقامات فقيل (أربعمائه) وقيل (أربعون) والذى بين أيدى الناس منها (خمسون) وعلى أية حال فلا جدال فى أن (لبديع الزمان) فضل السبق الى إيجاد هذا الفن الطريف فى الكتابة العربية ، كما نرى أنه بهذا التسبق ، قد وضع أساس (القصة القصيرة) وغرس نواتها فى الأدب العربى ، كما كان هذا الفن إرهاصا (بالمسرحية الفكاهية القصيرة) •

تلخيص المقامة وتحليلها

نمهد لهذا التخليص ببيان موجز للخصائص الفنية لهذا اللون الجديد من الأدب فى العصر العباسى الثانى ليعين القارئ على فهم كل مقامة على حدة عندما يقف على الإطار العام الذى يجمع بين المقامات •

د – خصائص فن المقامة وعناصره الأساسية :

تقوم المقامة من جهة فنها الأدبى على(أقصوصة)طريفة ذات عناصر رئيسية هى :–

١– شخصية (الراوى) : وهى شخصية خيالية ويفترض فى الراوى أنه شهد أحداث هذه القصة وربما شارك فى بعضها ، ثم يحدّث بها ويرويها •

٢ – شخصية (البطل) : أهم عناصر المقامة وهى شخصية خيالية كذلك تدور حولها أحداث القصة وأحيانا

يكون البطل منفردا ، وأحيانا يكون معه بعض أولاده أو زوجته كشخصيات مساعدة (رئيسية أو (ثانوية) ٠

٣ – (الجمهور) : وهو الذى يتفاعل مع البطل ويكون له شأن فى الأحداث غالبا ٠

٤– (القصة) : وهى حكاية خيالية يخترعها (البطل) عن نفسه ، يجعل منها حيلة يقتنص بها المال مباشرة من أحد الأفراد أويستدر بها عطف الجمهور وينال رفده وعطاءه٠

خصائص مقامات (البديع) بوجه عام :-

وقد بنى (البديع) مقاماته ، على الأسس والعناصر التى شرحناها لك من قبل ، (والتى هى من وضعه وابتكاره):

١– (فالراوى) عنده أسماه (عيسى بن هشام) وهو يبدأ به كل مقامة فيقول فى مفتتحها :(حدثنا عيسى بن هشام قال :٠٠٠٠٠٠٠) ٠

٢ – (البطل) عنده أسماه (أبا الفتح الإسكندرى) وقد نحله الصفات التى أشرنا إليها من الأدب والفصاحة والذكاء والحيلة والتجوال فى البلاد ٠

٣- (الحكاية) تدور غالبا حول الكُدْيَةِ(١) واقتناص المال من (الجمهور) أو الأفراد طواعية بوساطة سحر البيان وذَرَابَةِ اللسان أوْ بحيلةٍ تعتمد على الذكاء والمكر والدهاء٠

هـ - (تلخيص المقامة البغدادية) : -

(الراوى) فى هذه المقامة ، وهو (عيسى بن هشام) يحكى عن نفسه ولا يرْوى عن البطل-المعتاد فى المقامات الأخرى-(أبى الفتح الأسكندرى) كأنما أصابته العدْوَى من صديقه ، فتقمص شخصيته المحتالة الفكهة ، وأتى بمغامرة شبيهة بمغامراته (فهو هنا الراوى والبطل معًا)وتتلخص هذه المغامرة فى أن (عيسى بن هشام) اشتهى لونا من التّمْر - وهو فى مدينة (بغداد) فلم يقدر على شرائه لضيق ذات يده ، فقرر أن يحتال لعلهُ يظفر بطعام فاخر شهيّ دون أن يدفع فيه شيئا ، فمضى يتجول فى أنحاء المدينة الواسعة ويتفرس وجوه الناس ، فإذا برجل ليس من أهل بغداد وإنما هو ريفيٌّ نزلها لقضاء بعض مصالحه ، فقرر أن يستغله ويجعله مطيته إلى غرضه ، فهو من أهل الريف الذين تغلب عليهم السذاجه ، فأقبل عليه وأظهر له أنه يعرفه وأخذ يُحَيّيه ويرحب به ، ويدعوه للنزول عنده ليكرمه ، ناداه بكنية خطرتْ على باله ، فنبهه الرجل إلى خطئه بذكر كنيته الصحيحة ظانا أن فى الأمر لَبْسًا ، فاستدرك (عيسى بن هشام) معتذرا بالنسيان موهما الرجل بأنه من أصدقاء أبيه ، وسأله عنه فلما أخبره الرجل بأنه مات أظهر (عيسى) الجزع ، ومدّ يده - فى حركة مسرحية-لتمزيق ثيابه حُزنا على صديقه المزعوم ، فانخدع الرجل وحال بينه وبين

(١) الكدية : المراد بها المسألة (التسَوّل) : وهى فى الأصل : الصخرة الشديدة وقوله تعالى " أعطى قليلا وأكدى) " أى بخل وقطع القليل ٠

ذلك ، وأيقن المسكين أنه صديق والده حقا ، واطمأن إليه ، واستأنف (عيسى بن هشام) تمثيليته المتقنة باستضافة الرجل على (الغداء) مخيِّرًا إياه بين البيت والسوق مرجحا كفة السوق لقربه وطيب طعامه ، وسُرَّ الرجل ووافق ، وذهب به (عيسى) إلى (مطعم) فخم ، وطلب لنفسه ولضيفه أفخر أنواع الشِّواء ، وأغلى أصناف الحلوى ، فتغَدَّيَا وشبعا وقبل دفع حساب ما أكلا استأذن(عيسى) من ضيفه لحظات ليأتى لهما بشرَاب مثلج يتم به هذه الوليمة الفاخرة وخرج فاختبأ فى مكان يرى فيه ما يحدث لضيفه ولا يراه أحد ،فلما أبطأ عليه أراد الرجل الانصراف ، فتعرض له صاحب الدكان ، وطالبه بثمن الطعام ، فقال الرجل : كنتُ ضَيْفا ، فغضب (الشَّوَّاءُ) وأهانه ، وألزمه بالدفع ، فدفع صاغرا باكيا ، وأدرك أخيرا أنه وقع فى شرك محتال بارع ، وأنه كان ضحية لئيم مخادع ورَّطه وأكل ما لذ وطاب على حسابه على رغم أنفه وانصرف (عيسى بن هشام) بعد أن شهد ختام هذا المهزلة التى نسجَ خيوطها بإحكام متمثلا ببيتين من الشعر يُفْصِحَانِ عن سروره بنجاحه فى خطته ، وبلوغه الهدف من احتياله! .

و _ نقد المقامة البغدادية :-

ونتاولها _ بعون الله تعالى _ من جانبين، (الجانب القصصى) و(الجانب الأسلوبى) .

١ – الجانب القصصى(*)، <u>وأول عناصره</u> (الحكاية) وهى موجودة فى صورة الحديث عن النفس أو (الاعتراف) من (عيسى بن هشام) راوى القصة وبطلها فى الوقت نفسه وتشتمل الحكاية على عدة مواقف أهمها : موقف اللقاء بين البطل (عيسى بن هشام) والرجل الريفى (أبى عبيد) وفيه توجُّسٌ وشكٌّ فى أول الأمر ، واطمئنان وركون فى آخره .

(*) راجع (فن المقامة) فى كتابنا (العصر الذهبى) حـ٢ ص ٢٧٦ طبع توفيق بالقاهرة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م

٢ – موقف تناول الأطعمة اللذيذة فـى دكـان الشَّـوَّاء ، وفيـه تحفُّزٌ من الرجلين وإقبالٌ شديد وَنَهَمٌ كبير ٠

٣– موقـف هـروب الداعـى مـن المكــان وَوَرْطَـةِ الضيـفِ وَحَرَجِه ثم ندمِه ٠

العنصر الثانى :(الشخصيات) :

وتتمثل فى :–

١– (عيسى بن هشام) الراوى والبطل ؟ ٢ – (أبو عبيد) الضيف والضحية ٣ – الشواء (صاحب الدكان) ٠

العنصر الثالث : (العقدة) ٠

وتتمثل فى تأزم الموقـف بعـد هـروب (عيسـى بـن هشـام) عقب تناول الطعـام ووجـود الضيـف فـى هـذا الموقـف الصعـب المحـرج أمام صاحب الدكان مُطَالَباً بدفع الحساب ٠

العنصر الرابع : (الحَلّ)

وجاء فى صورة دفْع (أبى عبيد) ثمن الطعام مكرها ٠

أما (الحكاية) فإنها وإن كانت قليلة الأحداث ـ وهـذا شـأن القصـة القصـيرة ـ لكنهـا محبوكـة الأطـراف وذات موضـوع (فكاهى) جذاب هو (الاحتيال) للرزق ٠

وأما (الشخصيات) فواضحةُ السِّماتِ (فعيسى بن هشام) بطل القصة ذكيٌّ ماكر واسع الحيلة فصيح اللسان ، ناصع البيان و(أبو عبيد) الضيف رغم أنفه ، ساذج طيب القلب ينخدع بسهولة ويقع فى فخ الاحتيال ، ويخضع لتهديد (الشواء) و(الشواء) وهو مذكور بصفته لا باسمه قاسٍ غليظ القلب ، يلكم السوادى ويلطمه ويشتمه حتى يستوفى حقه بالشدة والعنف ، وهذا هو المألوف فى أمثاله .

وعنصر الفكاهة :

(الكوميديا) واضح يستدعى الضحك فى سذاجة (أبى عبيد) الريفى وهو يناشد (عيسى) ألا يمزق ثيابه ثم وهو يحاول الا فلات من قبضة (الشواء) ثم وهو يحل عقده بأسنانه ليدفع الحساب مغيظا مكرها !! .

المغزى أو الهدف : من المقامة يتمثل فى أمرين :-

أولهما (أخلاقى اجتماعى) بتصوير ما كان يَعِجُّ به (المجتمع العباسيُّ آنذاك من بُؤْس وظلم اجتماعى وبخاصة فى المدن الكبيرة ،ومن حِيَلٍ لاقتناص الرزق بأى وسيلة نتيجة الغِنى الفاحش فى جانب من المجتمع،والفقر المُدْقِع والحاجة فى جانب آخر وتصوير بعض مظاهر الحياة فى(بغداد)وما تزخر به من مباهج وخيرات لا ينعم بها إلا القادرون .

ثانيهما : لغويٌّ أدبيّ : بحشْدٍ كثيرٍ من مفردات اللغة وتراكيبها .

بقصد ترويجها ، وتعويد القارئ عليها ، وفى ذلك خدمة للغة وإحياء لها .

وبهذه العناصر التى رأيناها فى المقامة : من حكاية وشخصيات ، وعقدة وحل ومغزى تتحقق لها مقومات (الفن القصصى) منذ القرن الرابع الهجرى مع ملاحظة أنها قصة قصيرة ، وأنها (باكورة) ، كان يمكن أن تتطور إلى ما هو أنضج وأكمل .

ب – **الجانب الثانى** : فى نقد المقامة البغدادية هو (الجانب الأسلوبى):

الأسلوب فى هذه المقامة يعتمد – كما فى باقى مقامات البديع – على التزام الصنعة البديعية ، ولا سيما (السجع) و(الجناس) كما هو ظاهر ، ولا يخلو الأسلوب من الصور البيانية الجميلة ، وهذه أمثلة لها : –

١– تشبيه الرجل الساذج بالصَّيْد .

٢– الكناية عن الموت بالتعبير: (نَبَتَ الرَّبيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ) .

٣ – تشبيه الدهن في البياض باللؤلؤ وتشبيه لمعانه بضوء الكوكب .

٤– تشبيه سرعة ذوبان الحلوى فى الفم بسرعة ذوبان الصمغ فى الماء .... الخ .

* – ونلاحظ على الأُسلوب أنـه جـاء بالسـجع القصـير الفقرات مما خف على السمع ولم يَشِنْهُ التكلّف وكان تَقَيُّدُه بالصنعة البديعية في درجةٍ مقبولةٍ غير مَرْذُولة كما أنه اقتبس فيه كثيرا من الحِكَم والأمثال ، وضَمّنَهُ مددا من الشعر الرائع ومعظمه من نظمِهِ ، وكان في أسلوب مقاماته بوجه عام أقربَ إلى الطبع المجيبِ والقريحة المساعدة وَأَبْعَدَ عن الافتعال والاستكراه ومن هنا توافر لأسلوب المقامات عنده حظ كبير من العذوبه والسهولة والإِمتاع الأدبيّ.

الخاتمــــــــــة

وهكذا طوّفنا فى بستان العصر الذهبى للأدب العربى ، لنقدم للقارئ الكريم هذه الباقةَ الطريفةَ من الأزاهير والورود ، والثمارِ اليانعاتِ ، من نِتاج نُخْبة ممتازة من شعراء هذا العصر البارعين ، وكُتّابه اللامعين المجيدين ، مؤلفةً من (أحدَ عشرَ) نصا فى شتى الأغراض والموضوعات حيث وقفتُ عند كل نص ، معرِّفًا أوّلاً بِمُبْدِعِه ، فى إيجازٍ حيناً ، وفى توسُّطٍ أو بَسْطٍ أحيانا ، ليكون فى التعريف به ، إيناسٌ بِذِكْرِ حياته الخاصة ، وأحوالِ عصره بعامة ، وإلقاءُ أضواءٍ على شخصيتِه الأدبية ، ودوافعِه النفسية مدعومةً بآراءِ النقادِ فيه وفى منزلتِه بين أدباءِ عصرِه ، ومكانته فى الأدب العربى كله .

ثم تناولتُ كلَّ نص بالدراسة الأدبية الشاملة للغة النص وألفاظه وأساليبه ، ومعانيه العامة ، ونواحى الجمال والإبداع فيه ، تعبيرا وتصويرا ، وخيالا وموسيقا .

وقد وجهتُ عنايةً خاصة للنواحى الجمالية جزئية وكلية ، معتمدا على الأسس النقدية ، والنظريات الأدبية قديمها وحديثها بالإضافة إلى محاولةِ تكوين(التذوّق الجَمَالىّ)لدى الدارس ، ليتمَّ استمتاعُهُ بما يدرس ، وليتناولَ بالمنهج نفسِه أىَّ نصٍّ أدبىٍّ يتعرّضُ له بعد ذلك بالقراءة والدرْس .

وقد حرصتُ على أن أجعل هذه (المقتطفات) من هذا العصر الزاهر مُنَوَّعَةً ممثِّلة لأهم الأغراض والموضوعات الشعرية والنثرية،ففى(الشعر)ننتقل من مدح إلى فخر إلى رثاء

إلى زهد إلى خمريات وفى داخل الغرض الواحد ، اتجهتُ إلى التنويع كذلك ، ففى (الوصف) مثلا : كان هناك (وصفُ الخمر) لدى (أبى نواس) ، ووصفُ (الحُمّى) لدى (المتنبى) ،وفى (الرثاء) نرى (رثاءَ الأشخاص) الممتزجَ بالفلسفة عند (المعرىّ) ونرى (رثاءَ الدول والحضارات) عند (البحترىّ)

أما فى النثر فتحقق التنويع أيضا بتمثيل نزعةِ (النثر الأخلاقىّ) عند (ابن المقفع) ، و(النزعة الإخوانية العاطفية عند (ابن العميد) إلى جانب (النزعة القصصية) عند (بديع الزمان الهمذانى) •

ولعلى بذلك قد غطّيْتُ جوانبَ شائقةً ومُهمّةً فى أدبِ ذلك العصْر ولقد عُنيتُ ـ عناية خاصة ـ بضَبْط النصوص كلّها شعرِها ونثرِها ، ليكونَ هذا الضبطُ عَوْنا للدارسِ على النطقِ الصحيح وفهْم المعنى ، وليكونَ سبيلا إلى الإتقان والصّواب ، وتعويدا على الدقة ، وقياما بالواجبِ المُحَتّم الذى لا مناصَ منه ، ولا ينبغى التهاوُنُ فيه بأيةِ حَال •

راجيا أنْ يتقبلَ اللهُ هذا العمَلَ فى خدمةِ الأدبِ واللغةِ وأَنْ يثيبنى عليه بقدْرِ جُهْدى فيه وإخلاصِىَ النيّةَ ، وأنْ ينفعَ به إنه سميعٌ مجيب •

المؤلف

الفهـــــــــــــــــــــارس

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- المصحف المفسر : محمد فريد وجدى .

القاهرة – دار المعارف ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م

٣- تفسير القرآن العظيم :(ابن كثير) الإمام الحافظ

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى

نشر مكتبة الدعوة الإسلامية ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

٤- فى ظلال القرآن : سيد قطب ط ١٢ دار الشـــروق ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

٥ – الأعلام : خير الدين الزركلى.

دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠م .

٦- إِعْجَامُ الأَعْلاَمَ محمود مصطفى القاهرة ٢٣٥٤هـ ١٩٣٥م

٧ – الأَغانى :(أبو الفرج الأصبهانى) على بن الحسين .

بيروت – دار صادر عن طبعة دار الكتب المصرية ب ت

٨ – البحترى : د أحمد أحمد بدوى .

١٦ سلسلة نوابغ الفكر العربى دار المعـــارف – القـاهرة ١٩٨٠ م .

٩ – البحث الأدبى د. شوقى ضيف : دار المعارف – القـاهرة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٧م .

١٠ – البيان والتبيين :(الجاحظ) : عمرو بن بحر بن محبوب • تحقيق حسن السندوبى ط الاتقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م •

١١– الشاعر المطبوع أبو عبادة البحترى : محمود مصطفى ط الرحمانية – القاهرة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م •

١٢ – العصر الذهبى للأدب العربى د • محمد عبدالمنعم محمد ط توفيق – القاهرة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م •

١٣ – القاموس المحيط :(الفيروزاباذى) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد ط ٤ دار المأمون بالقاهرة ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م •

١٤ – المسرحية الإسلامة فى مصر :محمد عبدالمنعم محمدعبدالكريم – رسالة (دكتوراه) القاهرة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م •

١٥ – المفصل فى تاريخ الأدب : أحمد الاسكندرى وآخرون •

١٦ – المنتخب من أدب العرب : طه حسين وآخرون •

ط دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٥٠هـ – ١٩٣١

١٧ – النقد الأدبى : د • شوقى ضيف ط دار المعارف بالقاهرة ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢م •

١٨ – بشار بن برد بين الجد والمجون : حسين منصور •

ط الرحمانية القاهرة ١٣٤٨ هـ – ١٩٣٠ م •

١٩ – تاريخ الخلفاء : السيوطى •تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ب ت

٢٠ – ديوان أبى العتاهية ، ط ، دار الكتب العلمية - بيروت ب ت

٢١ – ديوان أبى نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م

٢٢– ديوان البحترى ، ط بيروت المطبعة الأدبية ١٩١١م ،

٢٣ – ديوان بشار بن برد

٢٤ – ديوان الشريف الرضى المطبعة الأدبية - بيروت ١٣٠٩هـ - ١٨٩٠م

٢٥ – ديوان الشوقيات ، دار الكتاب العربي - بيروت - ب ت

٢٦ – ديوان المتنبى ، بشرح عبد الرحمن البرقوقي ط الرحمانية ١٣٤٨هـ ١٩٣٠م

٢٧ – رسائل البلغاء : جمع : محمد كرد على نشر دار الكتب العربية الكبرى
ط مصطفى الحلبى - القاهرة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م ،

٢٨ – شرح التنوير على (سقط الزند للمعرى)
يوسف بن طاهر الخوتى ط السعادة بالقاهرة ١٣٢٤ هـ
١٩٠٦ م

٢٩ – شرح (ديوان الحماسة لأبى تمام) ، (التبريزى) ،

٣٠ – الصحاح : (الجوهرى) ، إسماعيل بن حماد ط ١٢٧٦هـ ١٩٥٦م

٣١ – فى البحث الأدبى : محمد عبدالمنعم محمد ، ط صبرى
مهيب بالزقازيق ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م ،

٣٢ – معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : عبد الرحيم بن أحمد العباسى

٣٣ – معجم الأدباء : (ياقوت الحموى) ط عيسى الحلبى - مصر ١٢٦٧هـ ١٩٤٧م
(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغدادى)

٣٤ – معجم البلدان (ياقوت الحَمَويّ) دار صادر - بيروت ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م

٣٥ – مع المعرى اللغوى د. إبراهيم السامرائي بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

٣٦ – مقامات بديع الزمان الهمذانى بشرح محمد محيى الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م

٣٧ – من قضايا النقد الأدبى فى القديم والحديث : محمد عبدالمنعم العربى .

٣٨ – نهج البلاغة : للشريف الرضى بشرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . القاهرة مطبعة الاستقامة ب ت

٣٩ – يتيمة الدهر : للثعالبى لأبى منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى ط حجازى بالقاهرة ب ت

٢ – فهرس الشعر

{ القصائد · المقطوعات والأبيات المفردة بحسب ورودها فى الكتاب }

تابع فهرس الشعر

فهرس الكتاب (الموضوعات)

رقـم الإيـداع